رمان

غسان كنفاني
بلا اسم كأننا بلا رواية
مروان عبد العال

الافتتاحية: أنتي–مطبوعة

ثقافية فنية فلسطينية – شهرية | تحرير وإخراج فني: سليم البيك | العدد السادس/تموز ٢٠١٠

http://www.horria.org/romman.htm | romman.saleem@gmail.com

خالد حوراني يحكي عن التحضيرات لاستقبال بيكاسو .. في فلسطين

هنا وفي كل عدد...
سامر أبو هوّاش

الافتتاحية

أنتي–مطبوعة

سـئلت كثيرا عمّا إذا كانـت «رمان» مطبوعة، وقد افترض الكثير بأنهـا كذلك كونها مصمّمة بالطريقة ذاتهـا التي يتم بهـا تصميم الصحف المطبوعة، إلا أنها .. أنتي–مطبوعة.

«رمان» ليست مطبوعة، ولذلك عدة أسباب:

- كي تكون الجريدة مطبوعـة لابد أن تنال رخصـة قانونيـة وأن تتحمل التكلفـة المادية للرخصة والطباعـة والتوزيع، وكل ذلك ليس في وارد «رمـان». عدا عن أن كثيرا من الصحف في العـالم بدأت تغلق مطابعها (للأسـف) وتعتمد على نسـخها الالكترونية فقـط، في توجّه صحافي واضح نحو الإنترنت.
- السـبب الأهم يكمن في أن الجمهور الذي تسـعى «رمـان» لأن تصله، أي تسـتهدفه، لا يجمعه مكانه الجغرافي (حيـث يمكن لمطبوعة أن تصل) بل اهتمامه بالفن والثقافة الفلسطينيين، ومعظم هؤلاء سيكونون في فلسطين ٤٨ و ٦٧ وفي المخيمات والشتات، وفي كل العالم، كما أن كتّاب «رمـان» لا مـكان جغرافي يجمعهـم، بل الهموم والاهتمامات، والإميـلات. أي أنّ وطن «رمان» هو حقيبة اللابتوب.
- الحال غير الطبيعية لشـعبنا الفلسطيني في شـتاته حرمته من متعـة أن يكون له صحيفة «محلّية» تجعل الثقافة والفن الفلسطينيين مادة يمكن لها أن تكون أساسـية كأي مادة أساسية في أي جريدة محلية عادية لأي شـعب عادي في هذا العالم، أعتقد بأن إنترنتيّة الصحف قد تجيب على بعض هذه الاحتياجات لشـعبنا المشتت، وهذا ما تحاوله هذه الرمانة الصغيرة.

ولكـن.. الطريقة المعقولـة لطباعة «رمان» قد تكون بـأن تتبنـى، يوما، إحـدى الصحف، أو المؤسسات، طباعتها وتوزيعها كملحق شهري مجاني، وهذا لن يعيق أبدا نسختها الإنترنتّية التي ستكون أساس الجريدة والتي بدأت بها وستستمر بهـا لتحمل إمكانية أن تصل إلى كل فلسـطيني وعربي في هذا العالم.

لا بدّ من أسباب أخرى، أكيدٌ بأنها ستخطر لي في غير موعدها كمعظم ما يخطر لي. المهم (إسّا) أنّ «رمان» غير مطبوعة.

لاحظتُ مؤخّرا أنني حـين أكتب وأنا جائع تكون المقالات مهذّبة وجديّة.

(وربّما لذلك أيضا «رمان» غير مطبوخة).

إحباط + جوع + الثالثة عصرا في عمل مقيت:

كنت أبحث عن خبر «صدور رمان» في **Google**، فطلع لي «صدرو دجاج بدبس الرمان».

خالد حوراني يستعد لاستقبال بيكاسو...

في فلسطين!

حاورته وأعدّت للملف:
رفيا سليمان

من مواليد الخليل، فلسـطين، عـام ١٩٦٥، حاصـل علـى درجـة البكالوريـوس في التاريـخ من جامعة الخليـل ويعيـش ويعمل في رام الله منـذ عـام ١٩٩٥ كمحاضـر ومدير فنـي للأكاديميـة الدوليـة للفنـون – فلسـطين. شـغل منصـب مدير عام لدائـرة الفنـون الجميلة في وزارة الثقافـة الفلسـطينية لعاميـن، وتولـى من عـام ١٩٩٨ إلى عـام ٢٠٠٩ مسـؤولية التصميم الغرافيكـي لمجلـة "الكرمـل" الثقافيـة التي كان يديرها ويترأس تحريرها شاعر فلسطين الغائب الحاضر محمود درويـش. عُرضت أعماله داخل فلسطين وخارجها وشارك في العديد من ورش العمل واللقـاءات الفنية حول العالـم، وله كتابات متنوعة عن الفـن والتصميم وعُرف عنه اهتمامه بتنظيـم المعـارض والفعاليات الفنيـة في رام الله ومختلف المناطق الفلسـطينية. امتاز خالد بذوقه الفنـي العالي وبأفـكاره الممزوجة بحـسّ التغيير والتمرد، ورغم أنه متخصص في الرسـم والخط (Calligraphy) إلا أنـه دائم التجـدد والابتكار، الأمر الذي يسعى دوماً لتوريثه للجيل القادم من الفنانين الفلسـطينيين، إضافة إلـى أنه قدّم –ولا زال– العديد من الأعمال والمشـاريع الفنية التي سخّرها لخدمة وتطوير المجتمع الفلسطيني.

"رمّـان" التقت خالد حوراني في مكتبه بمقـر الأكاديمية بمدينة البيرة، وكان معه هذا الحوار..

في حديثه عـن البدايات يقول خالـد... والدتـي فنانة وأنجبت مجموعـة مـن الفنانين، فشـقيقي الفنان حسـن حوراني (توفي شـاباً) من الفنانين المميزين وكان له حضور ممتاز، وكذلك وفا حوراني أحد الفنانين المهمين، ومحمود حوراني فنان مسرحي، وبقيـة أخوتي كلٌّ بتفاوت، ولهذا نشـأت في بيئـة مهتمة بالفن والثقافـة والأدب والمعرفـة وكذلك بالسياسـة والنضال. هُدم منزلنا عام ١٩٧٠ ونُفيَ شـقيقي الأكبر وسُـجن والدي وعشـنا الكثير من الأحداث حالنا حال سـائر العائلات الفلسطينية آنذاك، ومررنـا بظروف عديدة فرضت علينا نوعاً من التحدي في أن نكتشـف إمكانيات الفن وتحسـين الحياة إلى الأفضل والتخلص من الهمّ الذي يسـمى "احتلال" وانتهجت طريق الفن بجهد ذاتي وببعـض الدعم والمسـاندة مـن هنا وهناك، ودون شـك كان لأهلي الدور الأكبر إلى الآن، ثم الأصدقاءِ والفنانين الموجودين في فلسطين.

كنت من بين الأعضاءِ المؤسسين لمشـروع الأكاديمية الدولية للفنـون في فلسـطين، حدثنـا عن فكـرة المشـروع وأهدافه والأحداث المصاحبة له منذ البدايات..

الأكاديمية الدولية للفنون من حيث المبدأ عبارة عن فكرة فنية بدأت كمشـروع فني في ظل ظروف صعبة واسـتثنائية للغاية، ففـي عـام ٢٠٠٣ كان هنـاك الاجتياح وما تبعه مـن منع تجول واقتحامـات، وأثناءِ رفع حظر التجول بيـن الحين والآخر كانت غالبية الناس تستغل الفرصة لقضاءِ احتياجاتها من تموين وما إلى ذلك، وكان البعض منا يسـتغل الفرصة لملاقاة الأهل والأصدقاءِ والاطمئنـان على أحوالهم، وأذكر أن التقيـت مع مجموعة من أصدقائي الفنانين من بينهم تيسـير بركات، نبيل عناني، سليمان منصـور وآخرين، ومـن هناك بـدأت فكرة المشـروع الذي نستطيع من خلاله إيصال الفكرة الفنية بين أكثر من جيل وأكثر من منطقـة، كنا في البداية منهمكين بأنشـطة عابرة، كمعرض فني أو ورش عمل وندوات. ففكرنا بمشروع يكون قابلاً للتنفيذ وتحقيـق إنجاز مـا، فكرنا بداية بمتحف، ثـم بأكاديمية. بدأنا بمجموعة مـن الكتالوجـات والأقراص والأفلام ومواد بسـيطة كأجهزة عرض شـرائح الصور وبدأنا بعقد ورش عمل في عدة مدن في فلسطين حتى وصلنا إلى غزة.

من خـلال هذه الورش والجـولات التي قمنا بها في فلسـطين، وجدنا مواهب وطاقات إيجابية واضحة واستشعرنا حاجة كبيرة لمثـل هذه الفكـرة (الأكاديميـة) التي بالطبع تحتـاج لأن تكون على مسـتوى مؤسسة تتلقى الدعم المتواصل. وحدث أن توافد إلى فلسـطين في ذات الفتـرة الزمنية مجموعـات كبيرة من الناشـطين المتضامنين وكان من بينهـم فنانين، وأخص بالذكر مجموعـة من الفنانيـن النرويجيين كانت لديهـم فكرة مماثلة لمشـروع من نوع استثنائي في فلسطين وشعرنا بأن الأكاديمية هي ضالتنا المنشودة.

اتفقنا على كافة الأمـور وبدأنا بالإعداد ووضع الخطط والبرامج إلى أن أصبح الحلم حقيقة ونجح المشروع، وأصبح هناك طلاب ومنهاج تعليمي ومؤسسة، وبادر الكثيرون بتقديم عروض لدعمه ورعايته. ونظراً لأن الأكاديمية تأسسـت في ظروف اسـتثنائية خارجـة عن المألوف، ارتأينا أن تكون فلسـفة الأكاديمية كذلك اسـتثنائية وتتلاءم مع هذه المعطيات الاجتماعية السياسـية من أجل أن نبرهن على أهمية وجود مشـروع كهذا في فلسـطين وكذلك حتى تكتسب الأكاديمية معناها من هذه الظروف وليس العكس لتكون الظروف أداة لتسويق وعرض الأكاديمية كحدث أو كفلسفة على أن لا تكون معيقة.

قدمنا أنفسنا كمؤسسة فنية تدير أعمالها في زمن مليءٍ بالصعاب بشـكل بعيد عن المألوف باسـتخدام عنصري المـكان والزمان حولنا حتى في المادة التعليمية، وبالتعاون مع أكاديمية الفنون في أوسـلو والجمعية الفلسـطينية للفن المعاصر كان هذا المشروع "الأكاديميـة الدولية للفنون – فلسـطين" وتحول إلى مؤسسـة فيها طـلاب وطالبات وصفوف ومدرسـين ومكتبـة ومختبرات واسـتديوهات مجهزة، وهو أمر كنا نتخيـل أنه صعب التحقيق حيـن كان في طور الحلم ولكـن بالمثابـرة والتصميم وبالجهد الذي اسـتمر العمل على بذله تحقق الحلم. نحن فخورون بهذا الإنجاز لأبعد الحدود، والحركة الفنية الفلسـطينية خطت خطوة إلى الأمام لإنشـاءِ مؤسسة تكون بمثابة جسر للحوار بين فنانين من مختلف الأجيال والمناطق الفلسـطينية، فالأكاديمية ليست مؤسسة تعليمية فحسـب، وإنما هي كذلك ملتقى للحوار الذكي والإنتاج الفني.

الطريق إلى القدس... بات قصيراً!!

http://jerusalem-km.ps

"الطريق إلى القدس" مشروع فني يتضمن إنتاج وتركيب شارات أو لافتات من السيراميك تحمل اسم القدس والمسافة بالكيلومترات التي تفصل القدس عن مكان تثبيت هذه اللافتة، ويرمز إلى تعلق الناس بالقدس ومكانتها ورمزيتها التاريخية والدينية والانسانية وإلى كونها عاصمة عربية لفلسطين، ويمكن لهذه القطع أن تُثبّت في الساحات والأماكن العامة وعلى الطرق في العواصم والمدن والقرى والمخيمات المختلفة في فلسطين وفي كافة دول العالم. جدير بالذكر أن المشروع من تنفيذ الأكاديمية الدولية للفنون – فلسطين وبمبادرة من الفنان خالد حوراني..

كيف لمعت الفكرة؟

والله ربّنا فتحها عليّ! (ويضحك)

في ظل الإعدادات لاحتفالية القدس عاصمة الثقافة العربية ٢٠٠٩ فزت بمسابقة تصميم الشعار الخاص بالاحتفالية، وعند إعلان جائزة التصميم الفائز لم أتمكن من الذهاب شخصياً إلى القدس لاستلامها، فأرسلت أبنائي لاستلامها عنّي، فزوجتي من حيفا وجميع أبنائي يحملون الهوية الاسرائيلية، وجلست في تلك الأثناء أشاهد وأتابع الحدث عبر التلفزيون. يومها اقتحمت قوات الاحتلال الموقع الذي أعتمد مقراً للجنة احتفالية "القدس عاصمة الثقافة العربية ٢٠٠٩" ومنعت الاحتفال فاحتفل الفلسطينيون في الشوارع، وتسلم أبنائي الجائزة وشهادة التقدير وهم محاطين بالجنود، وقد عزّ علي أن يكونوا محاطين بخطر بينما أجلس في المنزل مكتوف اليدين، شو هالورطة اللي احنا فيها هاي! ممنوع نوصل ممنوع نروح ممنوع نيجي.. ويا فرحة ما تمّت!

بعدها تمت دعوتي من قبل اللجنة المنظمة ضمن مجموعة من الفنانين الفلسطينيين بمناطق الضفة للاجتماع والتباحث فيما يمكن عمله عن بعد لدعم احتفالية القدس والتدليل على أهمية المدينة العريقة التي كانت مركزاً للكون في خرائط العالم أثناء العصور الوسطى، في ظل عدم قدرتنا على الدخول إليها -كما حدث معي آنذاك- وما إلى ذلك من التضييقات الأخرى. وكانت فكرة معرض فني تأتي قوات الاحتلال في نهاية المطاف لتصادره بكل برود مش راكبة ع راسي! وعليه بدأت بالتنقيب عن فكرة مشروع يتجاوز حدود المنع ويمكّن كل مواطن فلسطيني من المشاركة فيه مهما بعُدت المسافات، ففكرت بهذا الحجر السيراميكي الذي جرت العادة أن تُكتب عليه أسماءِ الأحياءِ في شوارع القدس العتيقة، وهو أسلوب معماري جميل امتازت به مدينة القدس عن سائر المدن الفلسطينية. ما حدا بالدنيا بيقدر يمنع هالحجر من الوجود، بتقدري تحطيه عندك بالبيت وفي كل مكان.

أنتجنا ١٠٠ قطعة في الأكاديمية بتمويل من لجنة القدس عاصمة الثقافة العربية ٢٠٠٩ واخترنا ١٠٠ موقع في الضفة الغربية وقطاع غزة وعدد من دول العالم، ورأينا في فكرة المشروع وسيلة جيدة للتواصل بين الشعوب. وُضع الحجر الأم (الأول) في مدينة القدس، وتحديداً في دار الأيتام في وسط البلدة القديمة بالقدس ولكنني بالطبع لم أتمكن من الدخول وحضور التدشين فأرسلتها مع بعض الأصدقاءِ، أما الحجر الثاني فقد وُضع محاذياً لقبر الرئيس الراحل أبو عمّار في مبنى المقاطعة برام الله.

بعدها قمت بالإعلان عن المشروع على فيسبوك قبل الموقع الإلكتروني، فكثير من أفكاري الفنية أضعها على فيسبوك وأجدها تلقى تجاوباً شعبياً كبيراً يفوق التصوّر! وأعلنت أن بإمكان كل من يرغب تنفيذ الفكرة بنفسه، فالمشروع مجتمعياً وقابل للتنفيذ بكل سهولة من قبل أي فرد من أفراد المجتمع، وهناك على الموقع شرح كامل عن الفكرة وصفحة خاصة بقياس المسافة من أي مدينة إلى القدس ومعلومات عن قياسات القطعة والتصميم لإتاحة تنفيذها حتى دون الحاجة للاتصال بي، فالفكرة هي: اسرق الموضوع ونفذه! وبالفعل بدأ الناس بتنفيذ الفكرة في شتى أنحاءِ العالم، وأذكر أنني

تلقيت هدية من أناس نفذوا القطعة على حجر مختلف، على الفسيفساءِ! مما دل على استيعابهم واحتوائهم الكامل للفكرة بحد ذاتها. وحسبما نما إلى علمي فإن آخر حجر كان قد وُضع قبل سفري مؤخراً إلى دبي، كان مقره مبنى رئاسة الوزراءِ في غزة، وقام اسماعيل هنية بتدشينه شخصياً.

أعجبته الفكرة؟

أحبَّها بالتأكيد، تماماً كما أحبّها كل الفلسطينيين على اختلاف توجهاتهم السياسية، فحين أنفذ فكرتي الفنية لا أكترث لأي خلاف سياسي، ولمن تعجبه الفكرة مطلق الحرية في تنفيذها ونشرها، يعني: تفضل، "دخيلك خُدها" إزا بدك. الفكرة تكمن في مساهمة الجميع في هذا المشروع، كل بلد بتعملو بطريقة معينة، فليكن! ما يهمّنا هو أن تطرق الفكرة الأبواب المغلقة.

(تصدر من هاتفه المحمول رنّة رسالة قصيرة.. يقرأها خالد سريعاً ويبتسم)

بيكاسو في فلسطين هو إعلان عن رغبتنا كفلسطينيين في أن نحيا حياة طبيعية كسائر شعوب العالم

وصلتني الآن رسالة تقول: "الآن ندشن الطريق إلى القدس في خان يونس!" المشروع لحالو عم يمشي، مش عم بعمل شي، الحجر عم يتدشن بمبادرات فردية جميلة جداً. هذا المشروع مفعم بالحيوية والنشاط، تماماً مثل كرة متدحرجة تكبر وتكبر وتحقق الكثير، وهنا يكمن التحدي في إيجاد دور الفنان في زمن بتوجب علينا فيه تغيير الواقع والتدخل عوضاً أن نقف متفرجين على ما يدور من أحداث.

مشروع "الطريق إلى القدس" يُعد من أهم المشاريع التي نفّذت في إطار احتفالية "القدس عاصمة الثقافة العربية ٢٠٠٩" بدليل استمراريته حتى بعد اختتام الاحتفالية بنهاية العام الماضي، وهو بالنسبة لي قصة نجاح فريدة من نوعها.

بيكاسو؟؟ في فلسطين؟؟

هل صحيح ما سمعناه عن استضافة لوحة لبيكاسو في فلسطين؟؟ كيف صارت؟؟

كنت بزيارة منذ فترة لمتحف فان آب بمدينة آيندهوفن في هولندا وكنا في جولة للتعرف على معروضات المتحف وكيفية العمل والعرض والحفظ، والفكرة تأتي غالباً بلمح البصر. أثناءِ الجولة كان الشخص المسؤول يتحدث عن بعض الأعمال المتحف أنها يتم إرسالها إلى اليابان لعرض مجموعة اللوحات وذكر أبو ظبي من ضمن المدن، ساعتها كبرت في راسي وقلت لنفسي بصمت "يوماً ما سأجلب لوحة لبيكاسو إلى فلسطين!" ومضيت قدماً في الجولة دون التحدث بالموضوع. بدأت الفكرة بالتطور شيئاً فشيئاً، وحين عرضت الفكرة على فريق المتحف بهولندا ضحكوا وكأني حكيت نكتة! ولم تخلُ الوجوه من علامات السخرية، وإنو "مش معقول اللي بتحكيه يعني!".

لماذا؟

لم يستوعبوا الفكرة! "شو بلد حرب ولوحة با لملا بين وفش عندكو دولة وفش متحف وفش هاد وفش هداك؟!!" ومع ذلك أوضحت لهم مدى جديتي في الموضوع وقمت بتقديم كتاب رسمي وعرض تقديمي لمُقترح مشروع استضافة لوحة Bust de femme للفنان العالمي باولو بيكاسو في فلسطين، وهي لوحة لتمثال نصفي لإمرأة رُسمت عام ١٩٤٣ ويقدر ثمنها بنحو ١٨ مليون دولار. لم يكن هدفي في ذلك إني بس أفرجي لوحة بيكاسو لطلاب الأكاديمية ولمحبّي الفن في فلسطين، أو نفعّل بيكاسو، وإنما اختبار الطريقة التي نستطيع من خلالها استجلاب عمل فني أو بالأصح "تحفة فنية" على بلد بها كل هذه المعيقات والتناقضات من ناحية الحدود والاتفاقيات السياسية، حيث يوجد التباس في تعريف الكيانية الفلسطينية التي فرضت على شركة التأمين إنها تقرأ اتفاقية أوسلو اللي لا إحنا ولا هم (دولة الاحتلال) عم يقرأوها، وكان هذا هو الهدف من الموضوع ويجري الآن توثيق مجريات تنفيذ المشروع من خلال فيلم وثائقي.

فكرة أكاديمية الفنون بدأت أثناء جلسة لفنانين أصدقاء أيام الاجتياح

يوم عرضتُ فكرة "بيكاسو في فلسطين" على المتحف الهولندي ضحكوا وكأني حكيت نكتة!

أنت الآن تتحدث عن المرحلة الثالثة للمشروع، صحيح؟ فيلم وكتاب؟

بالضبط، وقد صممنا وطبعنا بوست كارد خاص بالمشروع تماماً كما فعلنا في مشروع "الطريق إلى القدس" للترويج للمشروع كبطاقة معايدة وسيتم توزيعه قريباً جداً.

حين نشرت جريدة "الأيام" الفلسطينية مقابلة معي للحديث عن "بيكاسو في فلسطين"، أذكر أن جارنا -صاحب الدكانة اللي جنبنا هون ومنتديّن منها دايماً- وهو رجل متديّن واسمه "الشيخ مروان" بادرني بالقول: أول شي ضحكتني! فقلتلو: اشمعنى؟ قال: قرأت مقابلتك في الجريدة، وبصراحة أول مرة بعرف شو بتعملوا إنتو جوّا بالأكاديمية! وأضاف: وخفيف دمّ الشغل تاعكو! (ويضحك خالد) فهذا الشيخ مروان يُعجب بالفكرة التي يُعجب بها في ذات الوقت نقّاد وفنانين لهم باعٌ طويل في هذا المجال كونهم دارسين ومدرسين فن. مجرد فكرة إنو الواحد يوجد الفكرة اللي تعجب هدول وتعجب هدول هي بحد ذاتها المتعة الحقيقية في زمن التحديات؛ إني أعمل عمل فني أقدر أحكي عنّو وعن صداه لأولادي، تا يعرفو شو اللي عملتو وليش، فهي غالباً ما تكون بسيطة من ناحية الفكرة معقدة من ناحية التنفيذ، تماماً كالسهل الممتنع! ماذا يعني أن تُعرض لوحة لبيكاسو في مصر أو تونس أو قطر؟ عادي، ذلك لأن كافة السبل والإمكانيات والأجواءِ المطلوبة متوفرة، لكن أن تُعرض في فلسطين، فهذا هو التحدي الأكبر!

كذلك عملت على توريط السلطة الفلسطينية (بالمعنى الإيجابي) بمشروع "بيكاسو في فلسطين"، وقد تكون هذه المرة الأولى التي يندرج بها عمل فني كـ"بيكاسو في فلسطين" ضمن جدول أعمال الحكومة الفلسطينية الذي نتج عنه قرار موثق بدعم المشروع لوجستياً من ناحية أمنية تحديداً، نظراً لما يحتاجه من حراسة وتأمين ودخول وخروج وتعهد من السلطة كجهة مسؤولة عن المنطقة [أ] بتوفير الحماية اللازمة ودعوة الجمهور لزيارة موقع العرض وتسهيل الرحلات وما إلى ذلك، فكل ذلك يتطلب تضافر جهود المؤسسات التربوية والثقافية والمدنية والأمنية لتأمين كل ما يلزم لعمل يتطلب حراسة يومية على مدار الساعة، وهو كعمل يعدّ بمثابة فحص لمدى جاهزية تلك المؤسسات لاستقبال أعمال فنية بهذا المستوى. بيكاسو في فلسطين كذلك هو إعلان عن رغبتنا كفلسطينيين في أن نحيا حياة طبيعية كسائر شعوب العالم، وأن يكون لدينا متحف ومطار دولي وشركات تأمين وغير ذلك الكثير. فعندما يتمكن بورتريه لإمرأة من التطرق لكل هذه الظروف التي يعيشها الفلسطيني هي أمر أساسي.

وكما ذكرت لك في بداية الحديث أننا نعمل منذ بدءِ المشروع على توثيق سائر مجرياته من اجتماعات وقرارات وإنجازات وزارية وإدارية وفنية بكل أمانة وموضوعية من خلال فيلم وثائقي وكتاب. وأتوقع أن تصاحبه متعة كبيرة بحجم الإنجاز وأن يكون عند كافة التوقعات، ما بين مدى إمكانية جلب عملاً أو تحفة فنية بهذا المستوى من متحف يقع في إحدى المدن الغربية إلى فحص جاهزية أكاديمية فنية في رام الله تقع في منطقة حرب -كما يعرّفها القانون الدولي- إلى فحص علاقة مؤسسة في الغرب بأخرى في دول نزاع أو توتر، وعلاقة الفن المعاصر بالحياة السياسية اليوم علاوة على دور الفنان في كل ما سلف، وكأننا نلقي حجراً صغيراً في بحيرة راكدة لمعرفة أين يمكن لهذه الموجات الناتجة عن إلقاءِ الحجر أن تحملنا.

في حال أننا -لا قدّر الله- لم نتمكن من رؤية بيكاسو في فلسطين، سيبقى العمل واقعاً ملموساً بكل ما تجاوزناه من عوائق أيّاً كانت النتائج، بدليل ما كُتب

عن المشروع ونُشر في عدد من مجلات الفن في العالم كمجلة frieze وهي من المجلات الرائدة التي يُعد الإعلان فيها مكلف للغاية، فما بالك حين تبادر المجلة بطلب إجراءٍ تغطية للمشروع على صفحاتها! من جهة أخرى قرأت الجرائد الإسرائيلية المقالة بـ frieze وأرسلت جريدة هآرتز كذلك طلباً لإجراءِ مقابلة حول الموضوع، مع إدراكي التام بأنه ما من أمر يخفى على دولة الاحتلال ولكن ليس كل ما تعرفه تفهمه، ويعد هذا بنظري منبراً أقرر استغلاله متى وكيفما شئت.

http://www.frieze.com/issue/article/ramallah

http://www.artacademy.ps/pdf/lowresfreize.pdf

أمر آخر رائع متعلق بالمشروع، هو أنه حين ترجع اللوحة إلى متحف فان آب بهولندا، تحت عنوان "بيكاسو الذي كان في فلسطين" وهو أمر في غاية الأهمية. أذكر أنني عندما ذهبت إلى المتحف ودخلت إلى الأرشيف ورأيت الخزنات التي تحوي السيرة الذاتية وشهادة العمل وصوره وتوثيقه منذ اللحظة الأولى لشرائه من فرنسا عام ١٩٥٤ وكل زيارة وتعديل أو تطوير تم من أجل هذا العمل الفني أو تصوير أو تقرير عن صحته وسلامته، وثائق "مْتلتِلة"، وبدأت أسرح في خيالي حينها كيف أن رام الله ستكون واحدة من تلك المدن التي تحفل بأسمائها الوثائق المحفوظة في ذلك الأرشيف في متحف بأوروبا، مثل روما، باريس، أثينا، لندن، بينالي سان باولو وغيرها، وهو بالنسبة لي أمر في غاية الأهمية.

فحقيقة أن يكون بيكاسو وصل إلى فلسطين هي نوع من افتراض أنه فنان تقدّمي ومناصر للحرية وعلينا أن نعاود نحن تفعيله في نطاق سياسي إيجابي لصالحنا أو نفحص دوره في هذا الأمر، والمشروع كذلك عن إعادة القراءةِ في بيكاسو وفي الحداثة، فبالرغم من أننا نعيش زمناً معاصراً بشروط غاية في التخلف في حياتنا ولكنني ارتأيت أن نبدأ بعمل من الأعمال الكلاسيكية في القرن الحديث، وببساطة لو كنت سألت والدتي إن كانت تعرف فناناً عالمياً كانت ستقول فقط "بيكاسو" أو "موناليزا"، فهذا سبب كاف. إضافة إلى أنني أشركت طلاب الأكاديمية في عمليةً الاختيار، حيث جلبت صور للمجموعة كلها على قرص مدمج وعرضناها في أكثر من محاضرة وأجرينا تصويتاً رشّح الطلاب من خلاله أكثر الأعمال التي يودون رؤيتها في الأكاديمية، إلى أن وقع الاختيار بالإجماع على لوحة Bust de femme (تمثال نصفي لإمرأة).

(وأخرج خالد الملف الكامل للمشروع لتصفّح سريع) هذا كله ملف "بيكاسو في فلسطين"، ولأن المشروع يقتضي إنشاءِ بيئة متحفيّة خاصة ستجدين من بين المستندات مخططات لمبنى الأكاديمية والعديد من المراسلات المتعلقة بالمشروع.

لم أتمكن من دخول القدس لاستلام جائزة شعار الاحتفالية، فاستلمها أبنائي وهم محاطون بالجنود!

متى يصادف اليوم الموعود؟

١٠/١٠/٢٠١٠، يوم يدخل بيكاسو إلى فلسطين..

وماذا عن تأسيس متحف في فلسطين؟ خبّرنا عن هالمشروع..

فعلياً لا يوجد متحف فني بمعنى متحف في فلسطين ومشروع "بيكاسو في فلسطين" من شأنه أن يفحص إمكانية تحقيق هذا الأمر، فأعمال كهذه يتطلب عرضها درجة حرارة ورطوبة معينين وتجهيزات أمنية مكثفة، وعليه سيتم إنشاءِ بيئة متحفية مصغّرة لهذه القطعة الفنية تكون ذات مساحة محدودة لتجربة كافة العوامل والمؤثرات، وغالباً سيحدث ذلك في صالة المكعب الأبيض في الساحة الخارجية للأكاديمية.

زيارتي لهولندا كذلك أتاحت لي فرصة التعرف على محتويات متحف راق موجود في مدينة غربية وكذلك فرصة للتفكير فيما قد نرغب في جلبه للمتحف بعد إتمام مشروع بيكاسو، فقد بدأت تجول بخاطري فكرة سريعة بعدم إزالة المتحف الصغير الذي سنستضيف به اللوحة والإبقاءِ على البيئة المتحفية كاملة بما فيها الأجهزة المستجلبة لضبط رطوبة وحرارة المكان ونسمّي ع حالنا متحف ولو كان صغير، لنقدم عرضاً في كل شهر وإن كان لقطعة فنية واحدة فقط! بعد بيكاسو مثلاً نعرض عملاً لفنان من غزة، وهكذا، أو نبقي المساحة شاغرة بانتظار عمل فني ما لفنان فلسطيني مقيم أو مغترب، أو لفنان عربي أو أجنبي.

شخصياً أحب الأفكار التي تتيح المشاركة الشعبية للجمهور المُحبّ للفن، ولا أستطيع الجزم أن الفنان عبقري ويستطيع تنفيذ أي عمل بنفسه دون دعم من أحد، بل على العكس، أنا مع أن يتوارى الفنان ويبقى العمل الفني. في "الطريق إلى القدس" نادراً ما يُشار إلى صاحب فكرة المشروع، الكثيرين يدشنون الحجر في مناطقهم ويحتفلون به، لا أمانع أبداً فهو أمر يسعدني للغاية أن أشعر بتبني الناس وجدانياً للمشروع. أثناءِ العروض الجماهيرية التي قدمتها لفكرة مشروع "بيكاسو في فلسطين" كنت ألمس اهتمام الحضور واستحسانهم، وبعضهم كان يسألني بعد العرض: "إنتا في الحقيقة فنان ولا شو بتشتغل بالزبط؟؟" (ويضحك) ذلك لأنني لست الرسام في هذا المشروع ودوري مقتصر فقط على التنسيق الفني والإداري مما يثير التساؤل لدى البعض أحياناً.

لست متأكداً بعد إذا ضروري إنا نشوف بيكاسو في فلسطين أو لأ، ولا من مدى ضرورة أن يتعلم طلاب الفن في دول العالم الثالث الفن الغربي أو الفن الحديث، فهذه أمور خاضعة للبحث والفحص والتقييم من خلال تقديم مشاريع كهذه في فلسطين. لا شك أن "بيكاسو" من أشهر وأهم الفنانين الذي عرفهم التاريخ واحتل مكانة لم ينعم بها فنان آخر وأقدر ذلك بشكل كبير، ولكن ذلك لا يعني بالضرورة أن يلقى المشروع إقبالاً جماهيرياً منقطع النظير أو أن أعلن سلفاً أنه عمل مهم وأفرض هذا الذوق الفني على المجتمع الفلسطيني؛ فقد يخرج الفلسطينيين –بعضهم أو غالبيتهم– في مظاهرات ضد فكرة بيكاسو في فلسطين، وهذا بالنسبة لي جزءٍ من العمل، وقد يبادر آخرون بالقول "خسارة، مش لازم كنت تجيبو!" وهو كذلك جزءٍ من العمل، ذلك أنه يعكس الانطباع العام حول المشروع وعملية التقييم الكلي.

بيكاسو في فلسطين واحد من المبادرات في فلسطين والمشاريع التي قمت بها كمشروع فني مشترك بين الأكاديمية ومتحف فان آب بهولندا وبعض المشاريع الأخرى كمشروع الطريق إلى القدس، كذلك نقترح نوع المؤسسة التي تستخدم النشاط الفني كأداة تعليم اللي الطلاب يكونوا جزءٍ من هاي العملية.

لأي مدرسة فنية ينتمي خالد حوراني؟

أنتمي لمدرسة الحياة، لإيماني بأنها أصدق من أي نظرية وأصدق من أفكارنا نحن عنها وحولها، والممارسة الفنية بنظري لا تعرف حدوداً، فكوني فنان لا يعني بالضرورة أن أرسم وأخطط فقط، رغم أن الرسم والتخطيط (Calligraphy) هما أكثر ما أتقن، ولكنني أمارس نشاطات عدة أخرى تندرج ضمن الفنون، كإنشاءِ أكاديمية أو متحف أو بعض من الحرقشات كفكرة "الطريق إلى القدس" وكذلك "الحصار الوحشي"، وقد قمت بعدة مشاريع فنية مختلفة في ذات السياق قد تكون مرت مرور الكرام دون تعقيب يُذكر. فعلى سبيل المثال، حين خسرت حركة فتح في الانتخابات أمام حركة حماس–وأنا مش فتح، أنا مجرد مواطن فلسطيني– قدمت وقتها طلباً نُشر في جريدة الأيام عنوانه "طلب انتساب إلى فتح" في اليوم التالي لإعلان نتائج الانتخابات، وكان في الحقيقة مشروعاً فنياً فلم أكن أطلب الانتساب جدياً ولكن لرجائي أن لا يتركونا لهذا المصير المجهول، وقد كتبت المقال في عمود اليومي لحسن البطلِ "أطراف النهار" محتلاً زاويته التي ذكر حسن في ذيلها سبب تركها لي في ذلك اليوم بالتحديد وكان جميع من قرأ المقال يدرك أنه لا يتجاوز كونه فكرة فنية لا طلباً جدياً للانتساب.

وفي العام الماضي طرحت فكرة على صاحب حديقة حيوانات في قطاع غزة اسمه نضال برغوث تتناول صبغ حمار عادي بألوان الحمار الوحشي، وذلك لصعوبة إدخال حمار وحشي حقيقي إلى حديقته وارتفاع تكلفته، وقد تم ذلك بالفعل وطلبت من الفنان ماجد شلا من غزة كذلك التقاط مجموعة من الصور لجسد الحمار وإرسالها لي لأقوم برسمها على لوحة كبيرة، ونجحت الفكرة وتم عرضها من مواقع مختلفة في العالم منها بينالي الإسكندرية، وأطلقنا حينها على الفكرة اسم "الحصار الوحشي".

عاصمة الثقافة العربية
Capital of Arab Culture
al-QUDS
2009

وكحرقشة فنية كذلك، عندما ظهر حزب "كاديما" الاسرائيلي قمت بإطلاق حزب في فلسطين أسميته "قدّام" (أي إلى الأمام) حيث أخذت برنامج كاديما السياسي وأبدلت كلمة "فلسطيبين" بـ"إسرائيليين" وكلمة "فلسطين" بـ"إسرائيل" وكانت الفكرة إنا نحطّ حالنا محلهم أو يحطوا حالهم محلنا وقمت بنشر فكرة الحزب وتسببت آنذاك بالكثير من الإزعاج. برأيي أنه من الطبيعي أن يحمل العمل الفني نوع من السخرية أو الفحص للأفكار، فحين قرأت برنامجهم السياسي وأسلوب صياغته أدركت مدى جنونه وعنصريته و"فاشيّته" إزا بدّك! ففكرت بحزب مماثل لحزبهم، لحتى لمّا بدهم يعتبروه تطرف رح يكون الردّ: "هو ليس إلا حزبكم!" مع بعض اللعب بالمفردات والإبقاءِ على المضمون العنصري.

قد يتطرق الكثير من أعمالي الفنية للجانب السياسي، ولكنني حريص على أن نقدم أعمالنا الفنية بشيءٍ من خفة الدم بغرض إيصال رسالة ما لمن يهمه الأمر، ذلك أن الفن منصّة للإنسانية وضروري من أجل أن تعبر الناس من خلاله عن مشاعرها وأحاسيسها وهواجسها وأحلامها وتخوفاتها تجاه قضية ما، والفن كذلك ليس محايداً، فهو ضد الجنون واللامنطق بمعنى الاحتلال والقصف والعدوان وخلاف ذلك، فالفكرة بدور الفنان تجاه مجتمعه وهو دور أسعد به وأنتمي إليه إلى أبعد الحدود.

عندما أنفذ فكرتي الفنية لا أكترث لأي خلاف سياسي

من الذي يعجبك من الفنانين؟

يعجبني الفنان المعاصر الذي يستخدم الفكرة والمقولة والمبدأ في أعماله أكثر من الفنانين الذين تقتصر أعمالهم على الرسم. لا أؤمن بالتصنيفات الفنية القائمة ذلك لأن الفن بحد ذاته لم يعد يقتصر على الرسم والنحت والتصوير، وإنما تجاوز الحدود للفكرة والتعبير، فقد يستخدم البعض المقالات في الصحف، وغيرهم التسجيلات المرئية.

عملي في الأكاديمية يُعد ممارسة فنية حتى وإن لم أنتج عملاً فنياً ما أقدمه بنفسي للجمهور، لا زلت أستطيع تقديم الأكاديمية على أنها عملُ فني بحد ذاته، وأشعر تجاهه بالفخر كمشروع قدّم ويقدّم الكثير من المساهمات للحالة الفنية في فلسطين. كذلك ما أفعله الآن، بالحديث معك، يعتبر نشاط فني! فما أتركه من انطباع لديكِ أو لدَى القراءِ عني وعن أفكاري الفنية لا يختلف كثيراً عن المحاولة التي أقوم بها حين يعطيني أحد ما مساحة مكانية ويطلب مني أن أضع بها لوحة لمعرض فني، فالمعرض الفني هو منبر أستطيع من خلاله إيصال رسالتي إلى الناس، تماماً كالمقال الذي تقومين بإعداده للقراءِ... وكما يقال، لكل مقام مقال!

حلمك البعيد...؟

أحلم دون شك بفلسطين حرة.. وشخصياً، أرغب حين أكبر –وقد بدأت أكبُر بالفعل– (ويضحك!) أن أتفرغ للتفكير والفن أكثر من العمل الوظيفي الذي يستهلك الكثير من طاقتي كمُحاضر ومؤسس فني للأكاديمية، ولو كان خلال ٥ سنوات.. ولكن مشكلة الفنان في فلسطين أنه لا يستطيع أن يكون فناناً فقط، وإنما لا بد من ممارسة عمل وظيفي بشكل مستمر حتى يتمكن من العيش بكرامة، وهنا أعتبر نفسي محظوظاً بعملي في مجالي الذي أحبه، لا في محجر مثلاً! فأنا أعمل في أكاديمية تقع ضمن تخصصي الفني وبين كتب الفن ومراجع الفن، ومع ذلك أشعر برغبتي في بعض الوقت كمتنفّس لأفكاري ومشاريعي الفنية الكثيرة التي لا زالت قيد التفكير.

قبل صدور العدد بساعة: في حوار هاتفي جرى معه حول مستجدات "بيكاسو في فلسطين"، أكد الفنان خالد حوراني لـ"رمّان" أن الاستعدادات جارية على قدم وساق "رغم بعض العوائق المالية التي اعترضت المشروع مؤخراً، ولكن الأمل بالتغيير يبقى الدافع الرئيسي الذي يدفعنا لإنجاز هذا المشروع الفني الفريد. وقد تم تأجيل تاريخ وصول اللوحة نظراً لأن يوم ١٠ تشرين الأول ٢٠١٠ يشهد بدء الاحتفالات الرسمية بمشروع "أريحا.. عشرة آلاف عام" التي تقام بمناسبة مرور ١٠ آلاف عام على أريحا (مدينة القمر) أقدم مدن العالم، وعليه فإن التاريخ الجديد هو ١٢ تشرين الأول ٢٠١٠. وقد أجريت مؤخراً عدة زيارات من قبل وفد المتحف بهولندا وشركة التأمين وشركة الشحن المكلفين بالإجراءات اللوجستية للمشروع وتم فحص الطرق وموقع حفظ اللوحة والاستعدادات الأمنية وما إلى ذلك. وستجرى كذلك في فلسطين –إلى جانب استقبال وعرض اللوحة– احتفالية فنية على هامش 'بيكاسو في فلسطين' تتضمن ندوات وجولات فنية يقوم بها مجموعة من فنانين عالميين كجزء من توثيق رحلة بيكاسو إلى فلسطين كونه الحدث الأول من نوعه في البلاد".

الأكاديمية الدولية للفنون في فلسطين ترحب بكم!

رفيا سليمان

في صباح ربيعيٍّ مُزهر من صباحات رام الله الجميلة استوقفت سيارة أجرة وطلبت من الشوفير أن يقلّني إلى مقر الأكاديمية الدولية للفنون بمدينة البيرة الملاصقة لرام الله، ولكنه استمر في النظر إليّ في المرآة بانتظار وصف أكثر دقة على ما كان يبدو قائلاً: "نعم يختي؟!" وكأنني طلبت منه إيصالي لمكان في إحدى ضواحي باريس لا البيرة (!) ثم استدركت آملة أن يجد في تعقيبي ضالته المنشودة: "بناية عارف العارف؟" حينها انفرجت أساريره وقال: "آه قولي هيك!" فقلت في سرّي باسمة: "هيك!" وبدأ المشوار.. يومها كان الطقس مُحيَّراً، يتأرجح من حين إلى حين بين برودة نسمات الصباح الغائم جزئياً ودفءِ شمس الضحى، واكتمل المشهد الصباحي بحفيف أشجار اللوز وتسبيح عصافير عابرة من الجليل معلنة بذلك بدءِ يوم جديد من أيام فلسطين المفعمة بالأمل والتغنّي بالحياة.. قد يتبادر إلى ذهن القارئ- كما حصل مع المحرر- تساؤلٌ حول ما أصاب كاتبة هذه السطور لتسرد كل هذا الغزل في مقدمة مقال يتحدث عن مؤسسة أكاديمية، فأبادر مقدماً بالرد: عذراً عزيزي القارئ.. فأنا لست بشاعرة ولا بكاتبة، ولكن منزلاً رأته عيناي -بدا للحظة وكأنه من خارج الزمان والمكان- أثار في وجداني الشوق والحنين لزمن لم أعشه يوماً.. منزل عارف العارف، شيخ المؤرخين الفلسطينيين؛ المقر الحالي للأكاديمية الدولية للفنون في فلسطين.

أثناءِ الحوار الذي أجرته "رمّان" مع الفنان خالد حوراني (المدير الفني للأكاديمية) عرجنا في الحديث بتعمق أكبر عن مشروع الأكاديمية الدولية للفنون – فلسطين وأعددنا تقريراً منفصلاً تضمن نبذة عن فكرة المشروع وحديث مطوّل عن المجريات والعقبات والتحديات والخطط المستقبلية، ومسك الختام حديث ممتع مع طلاب وطالبات الأكاديمية، فناني المستقبل الواعد!

فكرة المشروع

الأكاديمية الدولية للفنون - فلسطين مؤسسة تهدف إلى التخصص في برامج التعليم العالي في الفنون في فلسطين. تقدم الأكاديمية حالياً برنامج بكالوريوس في الفنون التشكيلية المعاصرة وتسعى إلى تطوير مجموعة من البرامج على مستوى البكالوريوس والماجستير في هذا الميدان. تعد الأكاديمية مكاناً مميزاً لتطوير المواهب الفلسطينية الخلاقة من خلال برنامجها الدراسي الذي يمتد لأربع سنوات والذي يفتح أبوابه أمام كل الراغبين بالالتحاق به. إن الهدف الرئيسي من وراءِ إقامة أكاديمية الفنون هو تنمية القدرات الإبداعية للفلسطينيين وتعزيز أصالة الفكر، مع إتاحة المجال لتطوير التعبير الفردي.

تسعى الأكاديمية إلى تطوير أجيال من الفنانين الملمين بالحوارات المعاصرة وأساليب الممارسة الفنية والقادرين على المساهمة في المجال الفني على المستويين المحلي والدولي. وتتوقع من طلبتنا أن يؤدوا دوراً مهماً في تطوير الصناعات الإبداعية في فلسطين وبالتالي في تكوين ثقافتنا البصرية، فالأكاديمية هي مبادرة فلسطينية أساساً تهدف إلى الحفاظ على الذاكرة الفلسطينية الجمعية والتاريخ والهوية الفلسطينية من خلال برامجنا وأنشطتنا التعليمية. كما أن رسالتها تتضمن أيضاً أن نكون مركزاً لإبداعات الطلبة والفنانين الدوليين من خلال برامج التبادل والمحاضرين الزائرين والأنشطة والمشاريع الأخرى.

مشروع الأكاديمية مُوّل بسخاءٍ من وزارة الخارجية الملكية النرويجية خلال الأعوام الثلاثة الأولى (٢٠٠٦ - ٢٠٠٩).

موقع الأكاديمية:
http://www.artacademy.ps

كم من الطلاب تستقبلون سنوياً وما مدى إقبال الشباب الفلسطيني على دراسة الفنون؟

نستقبل حوالي ١٠ طلاب ولكن عاماً بعد عام وليس سنوياً. الإقبال معقول جداً، رغم ضيق المكان وحاجة المشروع لمساحة مكانية أكبر من أجل أن تستوعب الحاجة والرغبة لدى الطلبة، ولكن أستطيع القول أن هناك شعور واستيعاب أكبر للفن كمعرفة وموقف ومبدأ وأداة تغيير، لا كحرفة أو هواية فحسب كما كان شائعاً بين الناس في الماضي. لأكون صريحاً، أهم وأنجح عناصر الأكاديمية هو الطلبة، مشاريعهم وأفكارهم، ونحن فخورين بهم للغاية، فهم النواة التي نستثمرها دائماً لنحقق الإنجازات المرجوة من هذا المشروع الفني.

لا يخلو الأمر في مشاريع تنموية كهذه من سلسلة من العقبات والتحديات.. كيف تحركتم حيال الأمر؟

بشكل عام العقبات في فلسطين هي الأساس الذي تتمحور حوله مجريات الحياة! وهي بمثابة الملهم الأساسي لنا إلى أن يتحقق الإنجاز الاستثنائي في ظل الظروف الراهنة. الحديث عن العقبات "حدّث ولا حرج" لأنها في صميم حياتنا، يعني وجود الإنسان الفلسطيني الطبيعي اللي بياكل وبيشرب وبيروح ع المدرسة وبيتزوج وما إلى ذلك مش عادي، فما بالك بالنظر إلى مؤسسة وفن وإدارات؟ العقبات موجودة بالأخبار على مدار الساعة وبشكل مباشر، ولكن التحدي الذي نتحدث عنه هو أننا لا نستسلم للواقع ولا نترك له فرصة ليشكلنا ويقودنا، وإنما نحاول التدخل في صياغته. على سبيل المثال، طوال فترة الاحتلال كان ممنوعاً على الجامعات الفلسطينية إقامة أكاديمية للفنون أو للزراعة! هيك، قانون رسمي! وغيرها الكثير، ولكن تحديداً هذين التخصصين: الـculture والـagriculture كانا من الممنوعات الملفتة، وكان هناك حظر دائم لكل ما فيه استثمار للمعنى والروح ومبدأ المقاومة إلخ.

ومن محاسن الصدف أن تمكّنا في ظل وضع معقد كهذا من عمل شيءٍ اعتدنا أن يكون محظوراً في الماضي، والأكاديمية واحدة من الأمور التي كانت بمثابة حلم لكل من تعلم الفن وانشغل بالفن في فلسطين وكان يسافر إلى الخارج لممارسة الفن، نحن نطمح أن نجعل من الأكاديمية مكاناً لكل الأجيال الراغبة في تعلم الفنون من مختلف المناطق الفلسطينية خاصة وأنها تفتح أبوابها لتجميع هذه الطاقات، طلاب من كل مكان، مدرسين وأساتذة.

للأسف ليس بيننا طلاب من قطاع غزة نظراً لصعوبة التواصل والوصول، ولكننا رغم ذلك نتواصل مع العديد من الأفراد والمؤسسات في غزة في مشاريع فنية وخلافه، وكذلك الحال بالنسبة للطلاب الفلسطينيين في دول الاغتراب، فنحن بالطبع نتمنى أن يتمكن كل الراغبين منهم من الانضمام ولكننا في النهاية لا يسعنا إلا أن نقبلهم نظرياً لأننا بكل أسف لا نضمن القبول النهائي وذلك لفقداننا السيطرة على منح تصاريح دخول البلاد. أما بالنسبة للأساتذة، فقد تعرفنا من خلال الأكاديمية على مجموعة كبيرة من الممارسين للفن، فنانون من أقصى مشارق الأرض ومغاربها وكانت فرصة لنا لنعيد ربطهم بالحياة والفن في فلسطين والمؤسسة، حيث كانت الأكاديمية وسيلة الاتصال بيننا. هؤلاءِ بادروا عند سماعهم بنا للتواصل معنا وعرض خدماتهم لدعم المشروع بما يملكون من قدرات وخبرات في الميدان، وقد أسعدنا أن نجد اهتماماً واستعداداً حقيقيين من قبل متطوعين في بعض الأحيان لتنفيذ مشاريع وورش عمل، فلا تكاد فترة أن تمر دون أن يكون هناك اكتشاف جديد لموهبة أو فنان أو مدرس فنون فلسطيني يقيم في بلد ما ولديه القدرة على خدمة المشروع.

معوقات التمويل أساسية، فنحن لا زلنا معتمدين على تمويل وزارة الخارجية النرويجية للمشروع، أما بالنسبة للعملية التعليمية فالأكاديمية تمنح درجة البكالوريوس في الفنون كما تعلمين وبالتالي فإن الطلاب متواجدون لمدة ٤ سنوات، مما يجعل استمرارية المؤسسة أمراً أساسياً يدفعنا دائماً للتفكير بمن سيكونون على جدول التخرج بعد سنوات في كل عام دراسيّ.

وقد جرت العادة أن تنتج فلسطين نجوم سياسيين فقط، وليس رياضيين أو فنانين للأسف أو عازفي بيانو مثلاً وما إلى ذلك. وفي نفس السياق، إذا لاحظت منذ قليل من بين صور تدشين أَحجار "الطريق إلى القدس" في مختلف المناطق الفلسطينية، تجدين سلام فياض واسماعيل هنية، تنين نجوم -كل من موقعه!- بيشتغلوا لحساب مشروعي إزا بدّك (ونضحك مجدداً) وليس العكس! فليس الموضوع هنا موضوع من على صواب ومن على خطأ، وليس على الفنان أن يكمّل دور السياسي، وإنما عليه أن يوجد مدخلاً من النوع الذكي المقبول لتحقيق الهدف المرجو من

عارف شحادة العارف

(١٨٩١-١٩٧٣) صحفي ومؤلف ومؤرخ وسياسي فلسطيني من مواليد مدينة القدس، درس في اسطنبول وانضم إلى المنتدى الأدبي وكان يتقن سبع لغات هي العربية والتركية والعبرية والفرنسية والالمانية والانجليزية والروسية، كما كان يجمع بين شغفه للعلوم واندفاعه الدائم للتغيير. حرر أول صحيفة وطنية فلسطينية نشرت بعد الحرب العالمية الأولى وهي جريدة سوريا الجنوبية التي صدرت في القدس منذ العام ١٩١٩ والتي ما لبثت أن رأت النور حتى أغلقت على يد الإنجليز، بعد أن هرب العارف بصحبة رفيقه الحاج أمين الحسيني إلى سوريا إثر اتهامه بالتحريض على العنف وإصدار حكم غيابي بعشر سنوات بحقه. عاد العارف إلى فلسطين عام ١٩٢٩وأصبح قائم مقام تحت الإنتداب البريطاني بين عامي ١٩٣٣ و١٩٤٨، وفي عام ١٩٤١ اختار العارف بيتاً لاقامته لا يقل في أهميته عن بيتيه في القدس وبئر السبع، وكان آنذاك أول جاليري في فلسطين واسمه "غاليري ٧٩"، وقد أغلقته قوات الاحتلال في فترة من الفترات، ما كان بداية لعقبات وتحديات متتالية واجهت المكان بشكل خاص وتواجه الحركة الفنية والثقافية في فلسطين بشكل عام. ومما لا يعرفه الكثيرون عن هذا البيت كذلك هو أنه تحول مع حلول النكبة عام ١٩٤٨ إلى ملاذ لشقيقاته الأربع المهجّرات من القدس الغربية، وأقامت عشر عائلات من مهجري اللد والرملة الخيام في حديقته. كما بادر الراحل آنذاك إلى وضع غرفة من منزله لإعداد الطعام لهم، وفي أحد الأيام الماطرة لم يحتمل مشهد اللاجئين وقد اقتلعت الرياح والأمطار خيامهم، فطلب من عائلته فتح أبواب بيته وإدخالهم جميعاً إليه، وقال لهم هذا بيتكم.

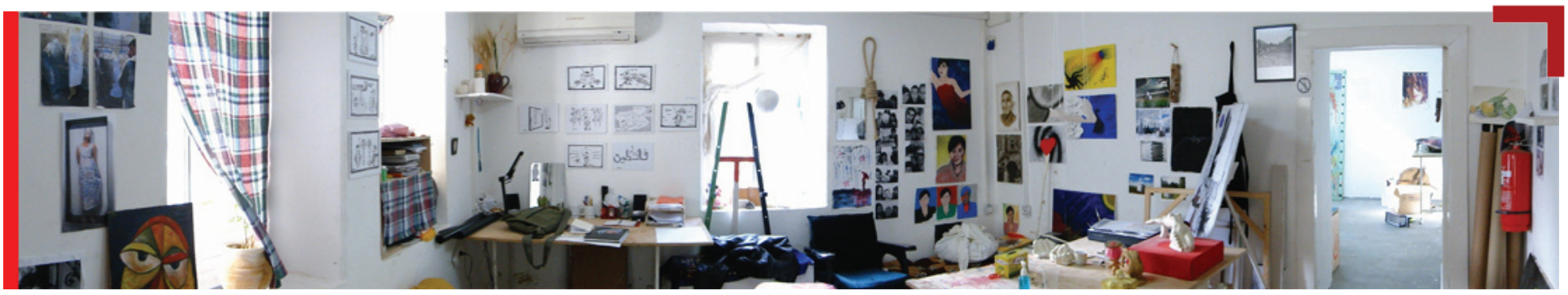

فكرته الفنيــة على المدى البعيد بعيداً عن كافة التوجهات السياسية أو الحزبية.

تحلمــون بإنشــاءِ حــرم جامعي مستقل بذاته؟

حقيقــة بعــد نجــاح المشــروع وتحوله إلى واقــع ملموس وفي ظــل توافُد الطلاب وبــدءِ الإنتاج الفنــي، بدأت الأكاديميــة بتقديم العديــد مــن المبــادرات الفنيــة بهدف المساهمة في إثراءِ الحالة الثقافية في فلسطين. هنا بنظري يكمــن الإنجاز الحقيقــي المُرضي، إنا نشــتغل مع النــاس وللناس، لا من برج عاجيّ كمن يمارس الفن وينتجه لفئات بعينهــا، الأمر الذي يتســبب بالكثير من الفجوات بين فئات المجتمع.

الفكرة الأساســية تكمن في الاســتفادة من هذا الاحتلال والقمع السائد والخروج برد فعل عكسي. أعود وأســتخدم "الطريق إلــى القدس" كمثال، فقد كانت فكرتي أن أســتخدم هذا المنع -من الدخــول إلى المدينة- لإثبــات أنه قد يكون في قدرة الاحتلال منــع مهرجان احتفالي أو معرض فني لكن منع تداول حجر رمزي لهو أمرٌ خارج عن سيطرته مهما كانت الحدود، نظراً لسهولة تطبيق الفكرة ووفرة الوســائل داخل فلســطين وخارجها.

نحن نعمل في منطقــة محيّرة، مش بس قصة صعوبات، وإنما قصة أن نحقق التوازن المطلوب لئلا يفقد العمل الفني صفته الفنية ولا الفنان دوره تجاه حياته ومجتمعه ويتجاهل واقعه السياســي والاجتماعي.. مستحيل!

مع النجوم..

التقت "رمّان" مجموعة من طلاب وطالبات الأكاديمية مــن الدفعتين الأولــى والثانية، وتعرفــت إليهم عن قرب وألقت نظرة سريعة على مشاريعهم وأعمالهم الفنية التــي ترعاها الأكاديمية بصــورة متواصلة من خــلال عقد ورش عمــل ومعارض فنيــة يلتقون من خلالها خبراءِ ومختصين بمجال الفن المعاصر لما من شــأنه صقل مواهبهم وقدراتهم الفنيــة البارزة يوماً بعد يوم.

من بيــن الأعمــال الملفتــة للانتبــاه كان ذلك الذي ورد الحديــث عنــه فــي إحــدى التقاريــر الإخبارية لطالبة لــم يحالفنا الحظ بلقائها، نــور عبد، وهي من طالبات الدفعــة الثانية. فكرتها الفنية كانت عبارة عن سلّم طويل صُمِّم باســتخدام مجموعة من الملابس والخرق القديمة تم ربطها ببعضها البعض، في محاولة منهــا لبث روح الأمل والتمســك بالحيــاة ربما، مهما ســاءت الأحوال.. عملٌ اعتمد استخدام مواد بسيطة لطرح فكرة غاية في العمق والدلالة..

بيسان أبو عيشة (اللد، مواليد ١٩٨٥): حين انضممت للأكاديميــة كان توجهــي بشــكل رئيســي للرســم والتصويــر الفوتوغرافــي لأننــي كنــت علــى دراية بأساســيات المجاليــن، لكــن مع مــرور الوقت ومن خــلال تعرفي على أوجــه عديدة للفنــون المعاصرة

شــعرت بأن أكثر التخصصات الفنية التي ستخدمني مســتقبلاً هــي التركيــب (Installation) والأداء (performance) والفيديــو آرت، وأصبحــت فــي كل عمل أختار الأســلوب الفني الذي يخدم الفكرة، فقد تبدأ بعض الأعمال بالرســم وتنتهــي بتصويــر فيديــو وهكــذا. قصتــي يطول شــرحها، فأنا أحمل شهادة بكالوريوس في أنظمة المعلومــات وهــو تخصــص اخترته متعمــداً بعيداً عــن مجــال الفنون، فوالــدي فنان مســرحي ولم أرغب في تكرار التجربة ذاتها وكنت أطمح لشــيءٍ مختلف، كذلك كانت رام الله في تلك الفترة قــد بدأت بالازدهار والتوســع في المؤسســات المتعددة المجالات، لكنني بعد التخرج أدركت أننــي لم أعــد قادراً علــى البقاءِ في مكتب لمدة ثماني ســاعات متواصلة لا تخلو مــن الروتين القاتل ولم أجد نفســي في ذلك المجال، فبدأت بالتوجه لتعلم برامج التصميم والتصوير الفوتوغرافي وقرأت صدفة إعلاناً في مجلة "فلســطين الشباب" عن مشروع الأكاديمية الدولية للفنون في فلسطين، وكانت أول مرة أسمع بجامعــة متخصصــة بالفنون في فلســطين! تحدثت بالأمــر مع والدي الذي تربطــه صداقة بالفنان خالد حوراني، وجلســت مع خالد خــلال زيارتي للأكاديمية وشرح لي المشروع بالكامل. ازدادت حماستي للأمر ومنذ ذلك الحين شعرت بأن حياتي قد انقلبت رأساً على عقب. أشــعر بفارق كبير بين البدايات والحاضر، فقد كانــت معرفتي بمجال الفــن المعاصر والفنانين حول العالم طفيفة جداً، واتجهت أكثر إلى الموسيقى وتعلمــت العزف على العــود بدار الأوبــرا المصرية لأربعة أشــهر، فقد كنت دائم البحث عن نفســي وما يتلاءِم وشــخصيتي. الدخول إلــى الأكاديمية لم يكن ســهلاً على الإطــلاق؛ كان يتم اختبــار المتقدمين لـ٨ أيام ومن ثم يتــم اختيار الأكثر تميزاً من بينهم وهنا كان التحدي بالنســبة لي، تحدي الذات! تعرفت إلى العديد مــن الفنانين والمختصين بمجال الفنون حول العالم وأصبحت على تواصل دائم معهم وأستشيرهم في أعمالي، وتوسّــع أفقي الفني مع إدراكي أن الفن

عالــم لا يعرف حــدوداً. هناك مقولة أؤمن بها كثيراً: "كل إنســان بيموت، بــس مش كل إنســان بيعيــش.." وأنا حابب أعيش! بحلم إني أحقق مشاريع كتيــرة ببالي بشــكل يليق بإنســانيتي وبأهلــي وبلدي وكذلك بــروّاد الفن الفلســطيني من الجيــل القديم الذين قدموا الكثير لفلســطين قضية وشعباً بشــكل خدم الأجيــال اللاحقــة كثيراً ومهّــد الطريق أمامهــا، وأذكر منهم الفنان الراحل العظيم اسماعيل شمّوط الذي كان من مؤسسي الفن التشكيلي في زمــن لم تتوفر فيه الإمكانات التي ننعم بها نحن اليوم.. بتمنى إني أترك بصمة مؤثــرة بأعمالي لإنو هالشــي واجب على كل إنسان فينا تجاه البشرية كلها.

عواطــف رومية (ديــر عمّار/ مواليــد ١٩٨٣): أحب الفنــون وكنت أدرس فــي كلية تدعمهــا أكاديمية أوســلو، ثم انضممــت للأكاديميــة الدولية للفنون وشاركت بورشــة إنشــاءِ الأكاديمية. هناك تواصل دائــم مــع الطــلاب، آراؤهــم أفكارهــم مقترحاتهم

ودائماً ما يســعى فريــق الأكاديمية لتطويــر النظام والخدمــات، نظام مختلف عن الجامعات الأخرى هنا، يعتمد بشــكل أكبر على النقاط والمشروع الشخصي وأســلوبك الخاص في تنفيذه وليس وفقاً لخطوات مشروطة.

ريما الطويــل (الرملة/ مواليد ١٩٨٦): لا تعتمــد الأكاديميــة نهج التخصصات المصنفــة، بــل توفر للطــلاب فرص عديدة لتعلــم الفنون المعاصرة بكافة أشــكالها، ثم لكل طالب حرية الاختيار لمــا يرغب التخصص به مــن الفنون. تســتقطب الأكاديمية كــوادر تعليمية ذات خبــرات عالية من مختلف أنحاءِ العالم، تقوم بعقد ورش عمل وتقديم العديــد مــن التوجيهــات الفنيــة بعد الاطّلاع على مشــاريعنا وأعمالنا الفنية، إضافة إلى إطلاعنا على أعمال سابقة لهم وطرح نقاشــات مفتوحــة حولها، مما يحفزنا باستمرار على تطوير قدراتنا الفنية.

وعند ســؤال عواطــف وريما عن مــدى تطور قدراتهم الفنية منذ بداية انضمامهم للأكاديمية، أضحكتهم ذكريات البدايات:

أووووووه مش طبيعي الفرق! يا الله شــو كنا ضايعين بالبداية، لم نملــك تصوراً واضحاً لما نريد أن نكون أو نبتكر، ولكن مع مرور الوقت بدأت كل منا تلمس الجانب الابتكاري في ذاتها بشكل أوضح.. وتضيف ريما: كمــان الحلو إنــو بالبداية اللي كان بس يرســم صار مع الوقت يرســم وينحت ويصوّر ويخطّط وتوســع إدراكــه الفني أكثر وأكثر، أنا مثلاً بدأت بالميل نحو صناعة الأفلام أكثر، كنت أظن أنني لا أستطيع ولكن مع خوض التجربة اكتشــفت قــدرات جديدة لدي وأصبح الأمر ممكناً بعد أن ظننت العكس تماماً!

أســامة نزّال (كفر نعمة/ ١٩٨٢): بدأت الرسم منذ الصغر، وحرص أهلي على تنمية هذه الموهبة لدي في المدرســة والمنزل، كبرتُ وكبُرت معي إلى أن بدأت بالميــل نحو فن الكاريكاتير، حين أجد جريدة أو مجلــة لا يشــد انتباهــي إلا الكاريكاتير والرســوم الكرتونيــة، وفي عام ١٩٩٨ بــدأت محاولاتي لابتكار شــخصية كاريكاتيرية خاصة بــي وأعجب جميع من كان حولي برسوماتي آنذاك إلى أن رأى "أبو علي" النــور عام ٢٠٠٠ وهــو رجل قومي يعتمــر الكوفية وتملؤه القصص، مؤيد ومساند للطبقة الكادحة ودائم الانتقاد للوضع الســائد المتردّي في فلسطين و"فش عندو لحية ممشــطة"! ومع انطلاقــة الانتفاضة الثانية اختلفت أســاليب التعبير عن الرأي بين أفراد الشعب الفلســطيني وأصبــح "أبو علــي" هو الناطق بلســاني، وتبلورت رســوماتي أكثر وأكثر حين دخلت سجون

الاعتقال محكوماً بالسجن لسبع سنوات. أثناء وجودي بالسجن، شاهدت على غلاف مجلة عملاً فنياً لشاب اسمه "مجد عبد الحميد" كان عبارة عن إشارة قف المرورية وكانت اليد مقطوعة الأصابع، دلالة على الاقتتال الفلسطيني القائم آنذاك، وكُتب تحت العمل "طالب في الأكاديمية الدولية للفنون - فلسطين". أثار الأمر فضولي، فلم يكن تعلم الفنون مطروحاً في فلسطين آنذاك إلا من خلال دورات تدريبية وورش عمل قصيرة بالكاد تذكر، وسارعت بالاتصال بأحد أقربائي طالباً منه الاستفسار عن الأكاديمية وشروط القبول وما إلى ذلك، وبالفعل جلب لي الخبر اليقين، لكنه قال: "بس انتا شغلتك طويلة، ضايل قدامك أربع سنين تا تطلع!" ومع ذلك بات الانضمام للأكاديمية شغلي الشاغل إلى أن جاءت سلسلة من الإفراجات شملتني وتم إعفائي من الأربع سنوات المتبقية في محكوميتي وسارعت خلال أيام بتقديم طلب الالتحاق وتم اختياري لمنحة البكالوريوس مع حوالي ١٠ طلاب من بين ٤٥ متقدم. تعلمت الرسم بالفحم والألوان الزيتية، وصرت متوجهاً أكثر للطبيعة وبدأت التصوير الفوتوغرافي والفيديو، إضافة إلى تحسن واضح في رسوماتي الكاريكاتيرية.

جمال صبري (البيرة/ مواليد ١٩٨٨): كان الرسم هوايتي منذ الطفولة وانضممت قبل حوالي ٨ سنوات

إلى مركز "منتدى الفنانين" وهناك بدأ مشواري الاحترافي مع فن الرسم، حيث أتممت ٨ مستويات في أساسيات الرسم ولم يكن هناك بالمركز مجالات فنية أخرى إلا الرسم، إلى أن أصبحت المسؤول عن الكادر البشري (الطلاب) بالمركز وبدأنا بممارسة نشاطات فنية خارجية مع المؤسسات تضمنت ورش عمل ورسم جداريات بالتعاون مع فنانين نشطاء أجانب، وفي يوم جاء مدير إحدى المؤسسات وبادرني بالقول: سأزكّيك للالتحاق بالأكاديمية الدولية للفنون. كانت تلك السنة الثانية التي يتم الإعلان فيها عن المشروع، وبالفعل قمت بزيارة الأكاديمية وتحدثت مع خالد حوراني المدير الفني الذي زودني بشرح مفصل عن المشروع والإمكانيات المتوفرة بالأكاديمية والفرص التي تمنحها للشباب الفلسطيني، فتقدمت بطلب الالتحاق مع أنني كنت أدرس آنذاك علوم مالية ومصرفية، وهو مجال بعيد كل البعد عن الفنون. كذلك كنت قبل دخول الأكاديمية على اطلاع دائم على تاريخ الفن وفلسفته، لأجد بعد انضمامي بحراً واسعاً من الفنون وفرص التعلم والتطبيق العملي، فبدأت بالعمل في مجالات الفيديو آرت والتصميم الزخرفي (Illustration) والحركة (animation) إلى جانب الرسم بالتأكيد وبدأت بالتطور تدريجياً. عائلتي كانت دائمة التشجيع لي وكان لهم الدور الإيجابي الداعم في حياتي الفنية. كثيراً ما تهيّئ لنا الأكاديمية الفرص لعرض مشاريعنا وأعمالنا الفنية من خلال معارض فنية على المستوى الرسمي وبحضور وزيرة الثقافة والمحافظ ورئيس البلدية أو من خلال فتح أبواب الاستوديو للجمهور الذي يرغب بمشاهدة إنجازات الطلاب خلال ساعات العمل وعلى أرض الواقع، ومن خلال هذا التواصل المباشر مع الجمهور، باتت نظرة المجتمع لمجال الفنون أكثر إيجابية واستيعاباً من السابق، فقد كان معلومات الكثيرين مقتصرة على أن الفن هو الرسم والتلوين، فقط! أما الآن أصبحنا نجد الكثيرين ممن يقدرون الفن بكافة صوره وأشكاله وإن كان مجرد فكرة. أطمح للوصول إلى مرحلة الاقتناع التام بما أقدمه للناس من أعمال ورسالة من شأنها خدمة بلدي وقضيتي ومجتمعي، وأحلم بإكمال مشواري الأكاديمي في مجال الفنون المعاصرة.

وضيفة من النمسا!!

زيلدا مورينغ (النمسا/ مواليد ١٩٨٧): جئت من لندن حيث كنت أدرس الفنون هناك، وكنت قد حضرت ندوة منذ فترة للسيدة جودي برايس تحدثت من خلالها عن مجموعة من الأفلام التي ينفذها مجموعة من الطلاب والطالبات في الأكاديمية الدولية للفنون

في فلسطين وذكرت وجود فرص للتبادل الطلابي بين لندن وفلسطين وشعرت برغبة كبيرة في خوض التجربة. المحاضرات هنا في الأكاديمية دائماً ما تكون مفعمة بالحيوية والنشاط، وفي البداية كنت أسمع من الطلاب أن الوقت ضيق جداً ولا يكفي لإنجاز مشاريعهم، ولكن التجربة بشكل عام ملهمة جدا والأكاديمية في حالة تشجيع وتحفيز مستمرين للطلاب، كما أن الطلاب أنفسهم يسهمون في تشكيل بيئة الأكاديمية. بالإضافة إلى ذلك فإن عدد الطلاب هنا في كل مجموعة أقل منه في لندن، مما ساعدني كثيراً على التركيز وتسهيل عملية التواصل مع الجميع. أرى نفسي في كل المجالات الفنية التي نتعلمها هنا وأشعر بأنني أستطيع أن أسخّر كلاً منها لخدمة مشروعي أو فكرتي الفنية بالشكل الذي يعبر عما في داخلي وعن تجربتي الشخصية. هذه هي المرة الأولى التي أزور فيها فلسطين، وقد مضى شهر على وجودي هنا، الناس هنا متواضعون جداً ويرحبون دوماً بالزوار وقد شعرت بسلاسة في التواصل معهم رغم ضعف لغتي العربية. من المؤسف أن الفترة قصيرة جداً، فنحن سنغادر فلسطين الأسبوع القادم حيث أن فترة التبادل تمتد لستة أسابيع فقط. في الأسبوع الماضي بدأت أشعر بالتوتر من الأوضاع السائدة في فلسطين، وشعرت بهذا التوتر يسري بين عامة الناس في الشارع وكذلك بين طلاب الأكاديمية، فالاحتلال هو العنوان الرئيسي للحياة اليومية هنا وهو الأمر المهيمن على الطلاب حتى أثناء انشغالهم بإنجاز مشاريعهم الفنية، وقد كان لهذه الأجواء تأثير على انطباعاتي الشخصية عن الموضوع كمواطنة أجنبية نشأت في الغرب وكوّنت فكراً معينا حول الوضع السائد في المنطقة بناء على الكمّ المحدود من الأحداث والتقارير الإخبارية الذي تبثه وسائل الإعلام هناك مقارنة بما يجري على أرض الواقع، فأفضل وسيلة لفهم تجربة ما هو خوضها!

إصدارات الأكاديمية:

"يعني": كتاب غير دوري يصدر عن الأكاديمية كمبادرة فنية تهدف لتحقيق الوعي الفني، يحتوي على مواد نظرية وبصرية حول الفنون وقضايا الثقافة المعاصرة والمجتمع، وهو موجه للطلاب ولمختلف فئات المجتمع الفلسطيني.

أطلس فلسطين الذاتي: كتاب يقدم زاوية مختلفة تماماً للنظر إلى شعب في أرض محتلة، وعلى صفحاته يعرض الفنانون التشكيليون والمصورون والمصممون الفلسطينيون بأنفسهم الجانب اللطيف والمعاكس لصورة الأبيض والأسود التي يلجأ إليها الإعلام عموماً. يعدّ من أفضل الكتب التي صدرت عن فلسطين خلال الخمس سنوات الأخيرة ويتم تصديره للخارج، وهو حائز على جائزة أفضل كتاب صدر في هولندا ويباع الآن في المطارات وفي أماكن أخرى.

الكتيّب التعريفي:
http://www.artacademy.ps/pdf/IAAP_Brochure_low_res.pdf
النشرة الدورية: http://www.artacademy.pdf.ps/pdf/Newsletter٢٠١٠

romman.rafia@gmail.com

«الوحدة ٢٠٠٠»

زرت غـزة للمـرة الوحيدة في أواسط أيلـول مـن العـام ٢٠٠٠ ضمـن وفد لجماعـة «الفينيق « الأدبية التـي كانت تنشـط آنذاك في مدينـة الناصـرة وخارجهـا، لا أذكـر مـن هـذه الزيارة الكثير فهي تحولت الـى حـدث مـا أو نقطـة فـي الوعي يحيطها الركام من جميـع الجهـات ، فأكاد لا أذكر سوى بنايات بيضاءِ عالية نسبيا وتراب ..الكثير من التراب وشمس حارقـة وشـعور عـام بعـدم الراحة ...هـذا مـا يتداعى فـي ذهنـي عندما اسـتذكر الآن تلك الزيارة الغريبة ولكني حين عدت الى أرشيفي قبل عشر سنوات وجدت أني كتبت في زاويتي آنذاك في صحيفة «فصل المقال « التجمعية ما يلي:

«..فالحركـة الأدبيـة فـي غزة تعـج بكتـاب الرواية والقصة والشـعر بمسـتويات متفاوتة كما في كل مكان، ولكن هـؤلاءِ يلتقون يوميا في المراكـز الثقافية والمقاهي الأدبية وخاصة في مقهى (الوحدة ٢٠٠٠)، ومن خلال هـذه اللقاءات يتبادلون الأفكار والطروحات مسـتعرضين ابداعاتهـم.. ولا تقتصـر هـذه الحركـة الجماعيـة علـى جيـل واحد محـدد بل تتنوع لتشـمل جميع الأجيال والتيـارات حيث يدعم الجيل الأول المخضـرم الأدباءِ الشـباب من خلال تواصلهم المسـتمر معهم . فقد حدثني أحد الشـعراءِ الشـباب أنه عندما يسـافر أي من الأدباءِ المعروفين الى الخارج فإنه من المتبع أن يتم تجميع النصوص الجيدة من الشعراءِ الشـباب لتترجم وتنشر في النشـرات المعنية هناك...إن الجـو الدافئ والداعم والمتناغم في غزة يبشـر بالكثير حول مسـيرة الأدب هناك، وفي ذات الوقت يذكرني بحالة الأدب لدينا...»

اندلعت الأحداث بعد هذا بأسـبوعين وتحديـدا في ٢٨ ايلول ٢٠٠٠ ومـن وقتها تغير كل شـيءِ وأعادت فصول الدمـار والحصار والقتل إنتاج نفسـها كل مرة من جديد بل أن تدافع السـنين انهك الأسـئلة وأنهك الوقـت محاولات التواصل مجددا وباسـتمرار بإسـتثناءِ بعد المهاتفات بيني وبين الصديق الناقد والكاتب الهام :نصر جميل شـعث (المقيـم قصـرا الآن في النرويج) والشـاعر على أبـو خطاب – حيث ادرنـا فـي المرة الأخيرة حـوارا غرائبيا حول المدارس الشـعرية في العالم العربي بينما كان المستشفى الذي يقع مقابل بيته في» تل الهوا» يحتـرق بالكامل بمن فيه من جراءِ القصف وكان ذلك في كانون ثاني الأسود من العام ٢٠٠٩.

ظل سؤال سـخيف يراودني كل هذه الفترة ثم ينقطع: ما معنى أسم «الوحدة ٢٠٠٠» هل هي الوحدة بمعنى loneliness أم الوحدة التي تعني unity . أما ألإجابة على السـؤال العبثي فقد لاحت بعد كل هذه السنين عن طريق دردشات الفيسبوك (بت أخاف من دردشات الليل الفيسـبوكية تلـك وما تحمله من مجهول) عندما ظهر شـخص على الخط في الأسـبوع معتقدا أنني اتذكر اسـمه الثلاثي بالكامل مع كافة تقاسـيم وجهه ، أنا المنكوب بالنسـيان سـريع التكلس...أنا فلان الفلاني – مقهـى «الوحدة ٢٠٠٠» فـي غزة ، لقد التقينا هنـاك قبل أقل من عشر سـنوات...ايوة!! نعم بالطبع اتذكر –حانت فرصتي لطرح السؤال السـخيف!!! ولكن السؤال غير جلده فجأة...ماذا حل بالمقهى ؟ أسأله... إنه ككل شيءِ ذا معنى في غزة محكوم عليه بالفناءِ – تمنيت وانطلاقا من سـوءِ الفهم المزمـن المقيم بين أبناءِ الوطن المقسـم-المدمر-المتشـظي ..ان يقول لي انه دمر اثناءِ الحـرب الأخيرة أو ما قبلها من غـارات روتينيـة ...أو ان يقول لي بأن سـلطة حمـاس اقفلت المقهى بسبب طابعه الإختلاطي وحولته الى نادي لكمال الأجسام ...ولكنه أجابني ببساطة احبطتني ...لقد تحول مقهى «الوحدة ٢٠٠٠» الى قاعة أفراح.

إفتتاح معرض «كيان» في حوش الفن الفلسطيني

القدس - رمّان

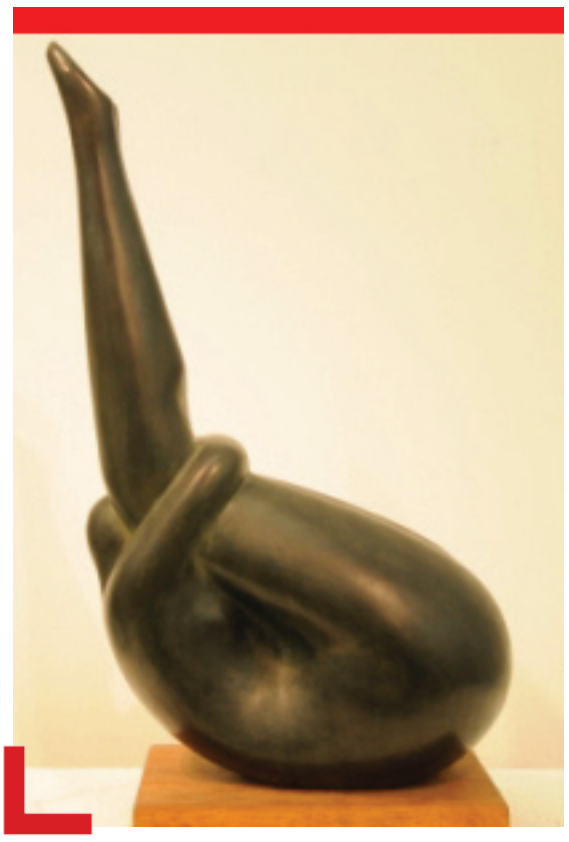

افتتـح حوش الفن الفلسـطيني في ٢٤ حزيـران معرض كيـان، وهو معرض نحت جماعي يضـم مجموعة مختارة مـن الأعمـال النحتيـة لنحاتيـن من مناطق مختلفة في فلسـطين والجولان وهم: أحمد كنعان، ايليا بعيني، حسـن خاطر، حمادة مداح، خليل ريان، داوود حايک، رندا مداح، سـناءِ فرح بشـارة، فاتن نسـطاس، مرفت عيسى، نائل ابو سعدة ونهاد ضبيط.

ويسـعى حوش الفـن من خلال "كيـان"، الى تقديم أعمـال نحتيـة متنوعة من حيـث الأسـاليب والمـواد المسـتخدمة، كالبرونـز والحجر والخشـب والحديد والطين وغيرها. وفي نفس الوقت تتشابه في إختلافها عن معظم الفنـون الأخرى، فـي معالجتهـا للعلاقـة بين الكتلة والفراغ ، وحيث يتناول معـرض النحـت الجماعـي "كيـان" الفـراغ كمعـادل ضـروري في البنـاءِ النحتي، مسـتدعيا بذلـک كينونـة غامضة، لا تتواجد في الجزءِ المادي من المنحوتة، بل في حيز لامرئي تشـكله الثقوب والفراغات، والامتداد الخفي للعمل.

تتنقـل الأعمال بين التقليدي والمعاصـر والتجريـدي والإنطباعـي ومـا بينهـم. و تتلاعب في الحدود الدقيقة ما بيـن الخيـال والواقع في محاولة لاستكشـاف أشـكالا واضحة ومبهمة في ذات اللحظة، حيث تظهر التكوينات أجسـادا ملتبسـة لا يُميَز إن كانت على شفا التشكل أو على شـفا التداعي. في "كيان" تبحث الأعمال عن كيانها الخاص، وفي بحثها، تكتشـف أن البحـث وهذا الانفتاح الدائم علـى إمكانية التشـكل هو كيانها أسـير حراكها الدائم في الفراغ.

نظـم المعرض بدعم مـن الصندوق العربـي للثقافة والفنون و سيسـتمر حتـى ٣١ تموز ٢٠١٠ في حوش الفن الفلسطينين يوميا من الساعة الثانية وحتى السابعة ما عدا ايام الجمعة والاحد.

سـينتقل المعرض بعد عرضه فـي القدس إلى رام الله و الجليل.

إطلاق اسطوانة باسم "صرخة من القدس" من بيت رفقة الكرد في الشيخ جراح

القدس - رمّان

أطلقت مؤسسـة يبوس للإنتاج الفني بالتعاون مع ورشـة العمـل الثقافيـة المسـكونية النرويجية من بيت السـيدة رفقة الكرد في حي الشـيخ جراح فـي القدس يوم الثلاثاءِ اسـطوانة "صرخة من القدس" وسط حضور عدد كبير من أهالي حي الشـيخ جراح والمتطوعيـن الأجانب والجمهور الفلسطيني والإعلاميين والفنانين الذين شاركوا في تسجيل الاسـطوانة قبل نحو شـهر وتم إخراجها وإنتاجها من قبل المنتج النرويجي "ايريک هلستاد".

وقد شـارک في هذا المشـروع أربعة فنانين فلسطينيين هم ريم بنا ووسـام مراد وجواهر شـوفاني وناي برغوثي بمرافقة عازفين من النرويج هم هلغريم براتبيرغ وكينيث ايكورنس وغجيرموند سيسـلت إضافة إلى ستيفن غورن من الولايات المتحدة.

وتقول الفنانة ريم بنا التي شاركت بأربع أغنيات من تأليفها وتلحينهـا في الاسـطوانة "وحدها بتبقـى القدس" و"طيري وهدي يـا وزة" و"إلى قصيدة" و"صرخـة من القدس" بأن مشاركتها في هذا العمل نابعة من "الإيمان بضرورة تسليط الضوءِ علـى مدينة القدس التي تُغلـق وتهدم وتحرق ولا يعي العالم حجم مأساتها وجرحها"

وقال منتج الاسـطوانة "ايريک هلسـتاد" أن "القدس زهرة المدائن ومركز العالم الديني والروحي تطلق اليوم صرخة ألم بعد عذابات الآلاف من سنوات الاحتلال على الرغم من أنها المكان الذي حمل رسالة السلام والتآخي تاريخيا ويبقى أطفالها محرومين من العيش بحرية وأمان".

وعبرت رانيا الياس مديرة مؤسسة يبوس للإنتاج الفني عن أهمية إطلاق اسـطوانة "صرخة من أجل القدس" بالتعاون

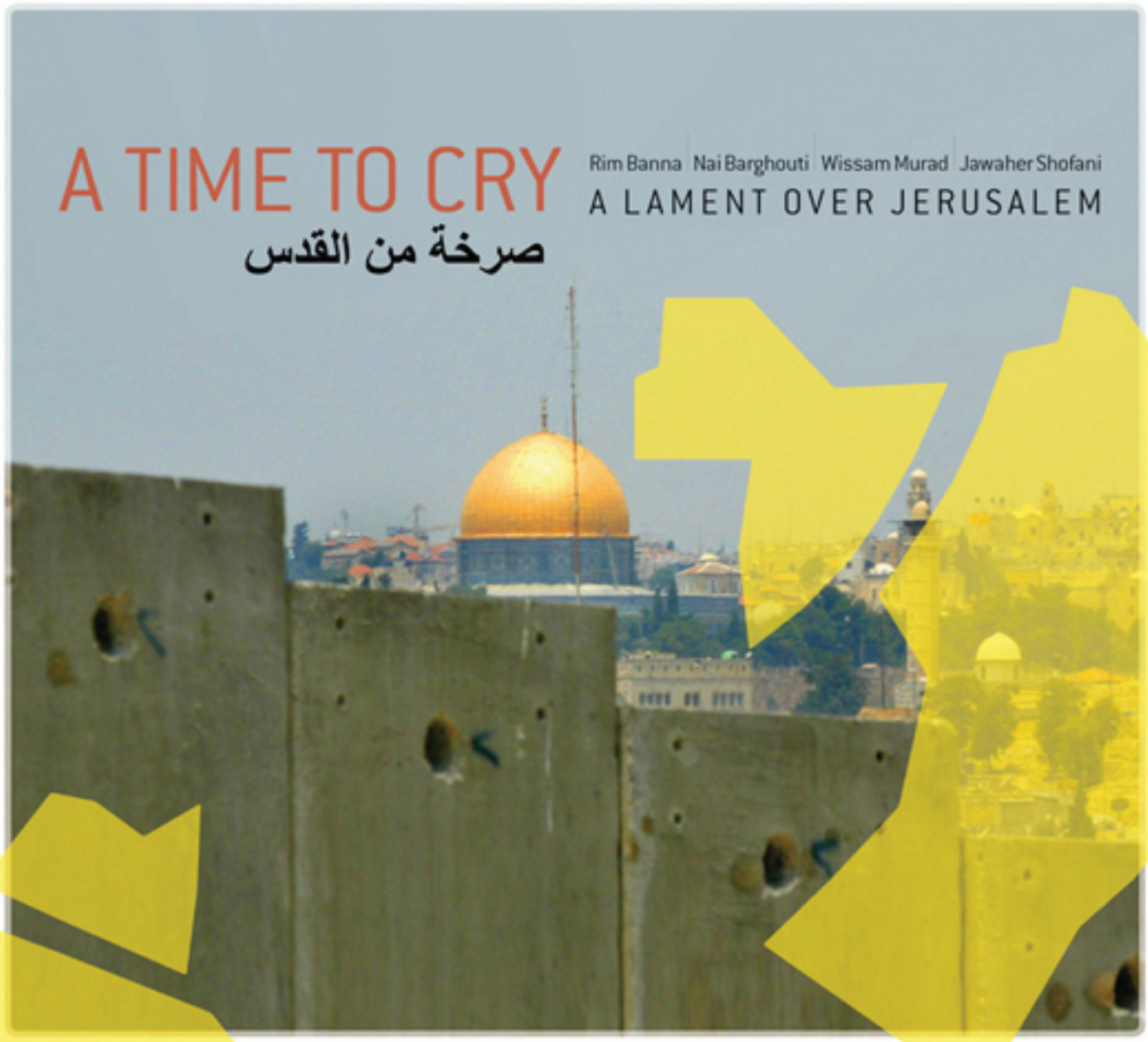

مع فنانيـن عالميين "كان حافزهم الأقوى التضامـن مع الشـعب الفلسـطيني في ذات الوقـت الذي ألغـى كثير مـن الفنانين فيه مشاركاتهم في مهرجانات وأمسيات تنظمها مؤسسات إسـرائيلية" وأضافت "أنه العمل الفني الثاني الذي تشـترك مؤسسة يبوس في إنتاجه ويركز على قوة الموسيقى كلغة للمقاومة".

وهـدف المشـروع الثقافـي الفلسـطيني النرويجي المشترك والمدعوم من "مجلس الكنائس العالمي" ومنحة الكنيسـة النرويجية إلـى إطلاق رسـالة إلى العالم عـن أوضاع الفلسـطينيين الذين يعيشـون فـي مدينة القدس وما يواجهونه من اعتداءات متكررة تشـمل الطـرد والتشـريد وهـدم البيوت وذلك من خلال الألحان والأغنيات والأشعار التـي أُلف بعضهـا من وحـي الواقع الصعب ونقـل بعضها الآخر عن التراث الفلسـطيني ومنها أغاني "عن إنسـان" التي كتب كلماتها الشاعر الفلسطيني الراحل محمود درويش و"طير يـا طير" و"يمـا مويل الهـوا" و"فاض دمعي" و"زهرة المدائن" وقصيدة "يا أرض" من كلمات الشـاعر بيرم التونسـي، وأغنية "مرثية يسوع" من تلحين الفنان وسام مراد ومنقولة من أصحاح متى.

وقد تم اختيـار بيت السـيدة رفقة الكرد (٩٠ عاما) لكونها تمثل هي وعائلتها المهددة بالطرد والتشـريد من بيتهـا مئات العائلات الفلسـطينية التـي اسـتولى المسـتوطنون الإسـرائيليون علـى بيوتهـم تحـت حماية الجيش والشرطة الإسرائيلية. وتتكون عائلة الكرد من السـيدة رفقة وابنتيها إضافة إلى ابنها نبيـل الكرد وعائلته المؤلفة من سـتة أفراد. وقد كانت السـلطات الإسرائيلية قد رحلت نبيـل الكرد من بيته الملاصق لمنزل والدته قبل عدة شهور واستولت على بيته بالقوة.

قريباً على قناة ميكس: تفانينا في حلة جديدة

حيفا- "تفانين"

أعلنت إدارة قناة "ميكـس" الفضائية عن انطلاقة جديدة للبرنامج الفني "تفانينا"، الذي أنهى موسمه الأول قبل أسابيع وسينطلق من جديد يوم الخميس ٢٠١٠/٧/١ الساعة السابعة مساءا على قناة ميكس في حلة جديدة أوسع وأعمق.

"تفانينـا" برنامج فني، حواري، يسـتعرض المشـهد الثقافي والفني الفلسـطيني، ويقدم تقارير مصورة لأحدث الأعمال الفنية (الموسـيقية، المسرحية والأدبية)، يستضيف البرنامج في كل حلقة ضيف من فنانينا المحليين ويحاوره حول أعماله الفنيـة، والأدبيـة الحالية. ويقدم أخبار فنية محلية وعالميـة، يتابع المهرجانات، والندوات، والعروض، والأمسيات والمعارض.

ويقـدم البرنامج للجمهـور اقتراحات عديدة لقضاءِ عطلة نهاية الأسـبوع في برنامج ثقافي فني مفيد وممتع.

يهـدف البرنامج إلي تعريف الجمهور العربي على الوسـط الفني والثقافي، وإرشـادهم إلى متابعة أهم الأحداث الفنية، حيث أن البرنامج لن يكتفي بالتحدث عن العروض التي قدمت، بل سـيتحدث أيضا عن العرض قبل موعده ليحفز المشـاهد أن يخرج من بيته لحضور العرض، وبالنتيجة يطور جمهور فني فلسطيني.

هـذا وقـد أتـاح برنامـج تفانينـا إمكانيـة التواصل مع البرنامج والتبليغ عن العـروض والأحداث المرتقبـة مـن خلال صفحة البرنامج على "الفيسـبوك": "تفانينا مجمع الفنانين" وهو مجمـع معلوماتـي يهدف إلـى التواصل مع الفنانين المحليين مـن اجـل دعمهـم والاهتمـام بتغطيتهم إعلاميا بصورة تليق بأعمالهم.

برنامـج "تفانينا" من تقديم إيمان بسيوني وإعداد بشار مرقص وإنتـاج شـركة "اف كونكشـين". ويبـث البرنامـج كل يـوم خميـس السـاعة السابعة مساءاً ويعاد يوم الجمعة على قناة ميكس علـى التردد (نايل سـات ١٠٨٩٢ HOR)

الثقافة الفلسطينية: إني أتهم

ماذا حدث للثقافة الفلسطينية في مملكة منطمة التحرير والسلطة؟ ماذا فعلت بها هذه السلطة ودولارات الدول المانحة والمنظمات غير الحكومية؟ من عمل على تجريفها وتصحيرها عاماً بعد آخر حتى وصلنا إلى هذا الوضع التعس لأول مرة منذ تبلورت الهوية الكفاحية للشعب الفلسطيني؟ هل يعقل أننا لا نملك الآن صحيفة واحدة مستقلة أو معارضة أو نصف معارضة أو أي مطبوعة تكفل حرية الخبر قبل حرية الرأي؟ كيف حدث أننا نحن الذين أصدرنا في الشتات والمنافي أبرز الصحف والمجلات الأدبية والفكرية نكتفي الآن ببوميتين شبه رسميتين ومحطة تلفزيون بائسة الشكل والمضمون، مهنياً وسياسياً وفكرياً؟ كيف ماتت بضربة واحدة مجلات الكرمل وشؤون فلسطينية واليوم السابع والكاتب الفلسطيني؟ وكيف ضاقت السبل بمجلات ذات ضفاف أوسع من حدود أحزابها كالهدف والحرية وإلى الأمام؟ كيف خرجت المؤسسة من دورها في الإنتاج السينمائي والمسرحي؟ كيف أصبح الشعراء والروائيون موظفين سعداء بسيارات وسائقين وحراس؟ وكيف تفاقمت لدينا ظاهرة المثقف السعيد الذي هو آخر ما يحتاجه الوطن؟

مريد البرغوثي

نعم، آخر ما يحتاج إليه الوطن، أي وطن، هو المثقف السعيد، المروّج للرضى، الواثق داخل مرآته المتفهم دائما لسيده السياسي، المفسّر لتأتأة الحكومات الشارح لحجج العدو والمفتون بمفردة «الاستقرار». وفي أوجاع الدكتاتوريات المحلية وشرور الاحتلال الأجنبي يصبح المثقف السعيد، عبئاً على التاريخ. إنه إذ يتخصص في اختراع المساحيق المناسبة لوجه السلطة ينسى أنه يلطخ يديه وثوبه ويساهم مع الهراوة في تمرير الخديعة. وهو إذ يسارع، عند وقوع الكوارث التي لا بد من وقوعها، إلى لوم الظرف الموضوعي يتعمد إعفاءِ الذات الشخصية والذات الرسمية من النقد: «الخطأ ليس «هنا»، الخطأ دائما «هناك»! «الحق ليس معهم الحق دائماً «معنا»! يبتسم لرأيه ورأيه يبتسم له، لنفسه، لقائده، لحزبه، لفصيله، لمذهبه، لأيدولوجيته وأحيانا لأعدائه، ثم يتهيأ لاستقبال المكافأة مكرمات وفُرَصاً تدفعه إلى مزيد من السعادة. نقيضُ المثقف السعيد هو المثقف الانتقادي الذي يفكر ويختار ويجهر ويمارس عناده المكلّف ويدفع الثمن بدلا من أن يقبضه. والدور النقدي للمثقف هو مؤشر على وجود المواطن النقدي الذي يصعب أن تنطلي عليه الحجج والذرائع والتبريرات. فوجود مثل هذا المواطن هو رسالة الأمل التي يحملها للمقهورين بريد التاريخ. وممارسة النقد ليست حصراً على اللغة بل تتعداها إلى قائمة طويلة مما يقبله المرءِ أو يرفضه، وقائمة أطول من أشكال الفعل الخلاقة بالقلب واللسان واليدين. نشطاءِ الحرية على سفن الحرية من رجال ونساءِ هم حالة ساطعة من حالات ممارسة النقد والاستعداد لدفع الثمن.

تدليل الأفاعي وزخرفة الحطام

المشروع الوطني مصاب بالتأتأة والارتباك والتقلّب الفاضح وهذا أسوأ من غيابه

في المشهد الفلسطيني الممتد لا يمكننا أن ننكر تجاور المثقف «السعيد» والمثقف «الانتقادي» جنباً إلى جنب في مختلف مراحل الصراع، لكن مثقفينا السعداءِ كانوا دائماً قلّة. فالروح النقدية كانت، في الغالب الأعم، هي روح الثقافة الفلسطينية، شواهدها كتاب وشعراءِ ومفكرون يسائلون ويتساءلون، يمارسون القلق العفيّ والارتياب الشريف لا بشأن ما يقال لهم فقط، بل أيضاً بشأن ما يقولون ويكتبون، يحاولون خلخلة المستقر، يدعون إلى التجديد، ويحدقّون بإخفاقات الذات الشخصية والجمعية، لا يحاولون تدليل الأفاعي خلسة ولا يعملون على زخرفة الحطام وتعطير الكوارث.

الجديد المؤسف الذي ألمّ بالثقافة الفلسطينية منذ سنوات هو تآكل الدور النقدي والغياب شبه الكامل للمثقف صاحب الرأي المستقل المجاهر باختلافه عن اي إجماع ملفق والمدافع عن الحقائق المهجورة والمغدورة. وهذا يتم تحقيقه في البداية بوأد المنابر وإعدامها حتى لا يجد الكاتب الحر شرفة يطل منها على قرائه وبعد ذلك لا يبقى لمن يريد الخوض في المسائل الجوهرية إلا تبنّي رواية المؤسسة ورؤيتها، أو تجنب الخوض في الجوهري أصلا والانشغال في عز المحنة بالحديث عن نقّار الخشب!

يرجع الكثيرون غياب المشروع الثقافي الفلسطيني إلى غياب المشروع الوطني الفلسطيني، ويصعب الاتفاق معهم على هذا الرأي فالمشروع الوطني مصاب بالتأتأة والارتباك والتقلّب الفاضح وهذا أسوأ من غيابه. والثقافة التي «تتبع» بدلا من أن «تسبق وتتقدم» لا بد لها من أن تحمل العدوى كلها والأوصاف كلها. وهكذا ارتبكت «الجملة الفلسطينية» التي كانت عنوانا نبيلا من عناوين الثقافة العربية على امتداد الخريطة.

إن جيلا كاملا من المبدعات والمبدعين الفلسطينيين يتكون الآن في مخيمات المدن الفلسطينية وفي القرى والبلدات وعلى امتداد قطاع غزة ونابلس وطولكرم وجنين والخليل وسواها وينتج قصصاً وقصائد ومقالات جميلة تنبئ بمواهب حقيقية وتفكير نقديّ مستقل عن المؤسسة، تضيق بإنتاجهم منابرها القليلة ذات اللون الواحد والمتركزة في مدينة واحدة هي رام الله. أضف إلى ذلك عمليات التضييق في غزة على حرية الفنون والإبداع المرئي أو المسموع أو المكتوب وإعادة تعريف ذلك كله تعريفاً يرجعنا قروناً إلى الوراءِ.

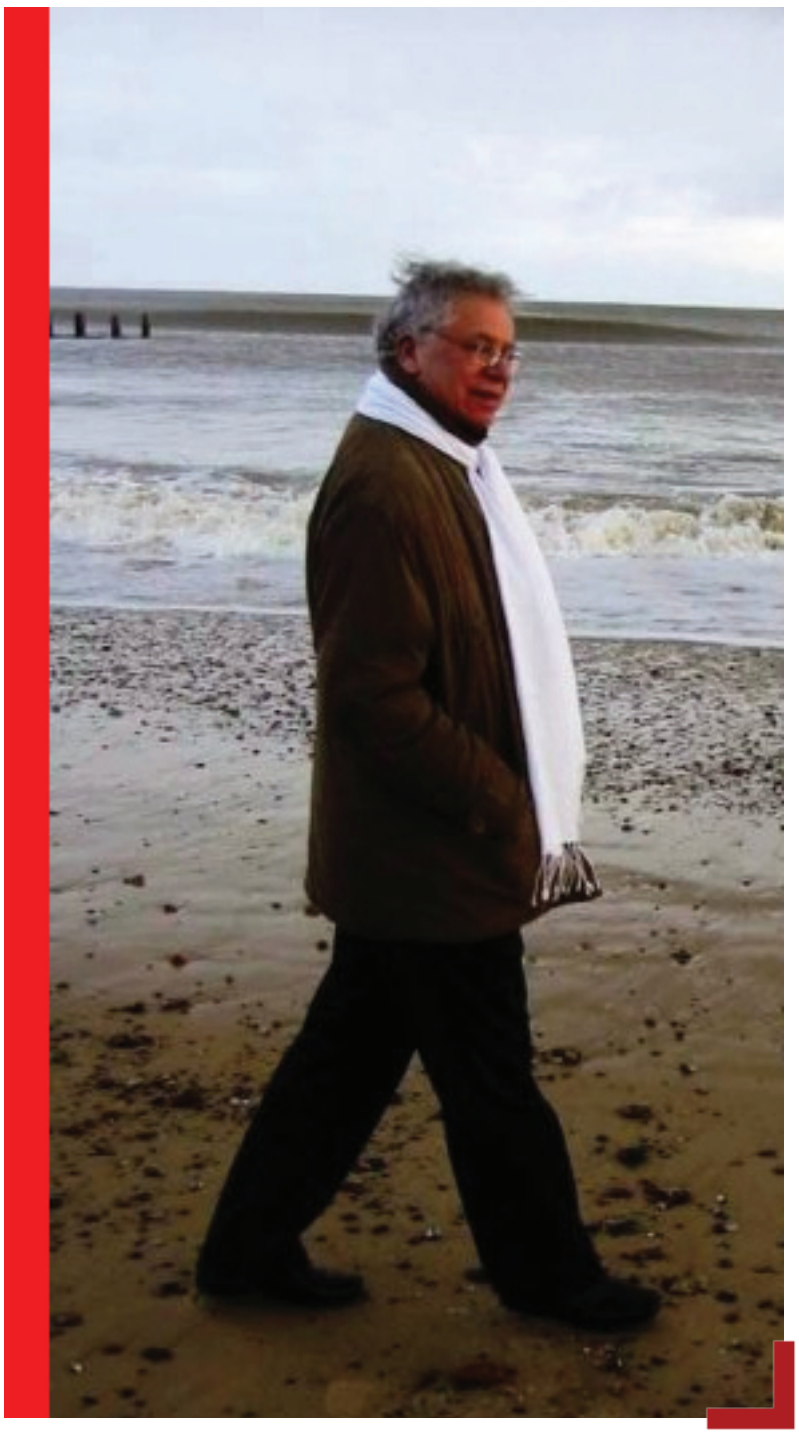

«المبدع» يفزع أن يدل عمله الإبداعي على موقف أو يحمل أي معنى. وفي عالم النقد الأدبي والصحافي انتشرت الكتابات النقدية التي تسمّع محفوظاتها من الترجمات الرديئة لنقّاد الغرب. هكذا اجتمعت لدينا في وقت واحد ركاكة النص وركاكة الموقف، وخلا الميدان للسياسي يصول ويجول بلا منتقد. ففي تاريخنا القريب تغيرت مواثيق وانقلبت مفاهيم وتناقضت سرديات وماتت أحزاب من دون أن تثير أي زلزال ثقافي بل من دون قرع جرس صغير.

هل بدأ الانهيار باتفاقات بكامب ديفيد وإسقاط ما أسماه السادات «الحاجز النفسي» مع العدو حتى إذا انكشفت مخاطرها هرعت اتفاقات أوسلو لإسقاط الحواجز الإضافية عند أصحاب المأساة المباشرين هذه المرّة؟ هل أدى ذلك إلى طمس ملامح المشروع الوطني بحيث أنه أصبح «غيره»؟ هل أدى ذلك إلى اليأس من النصر وإلى الإيمان بالهزيمة؟ ربما. لكن كثيرا من كتاب لبنان والكتّاب العرب رفضوا الاعتراف بانكسار خطط عدوهم الإسرائيلي في تموز ٢٠٠٦ إلى حد أن جنرالاته ومفكريه وصحافته تعترف بتعثره بينما كتّابنا هم الذين لا يعترفون! لكن انزلاقات كامب ديفيد وأوسلو وحدها لا يمكن أن تبرر انزلاق المثقفين إلى اعتناق «معنى» عكسيّ للقضية برمتها وإلى غيبوبة واعية تبدد الجوهريّ وتموت فيها مفاهيم بأكملها. كيف يفسر لنا مثقفونا السعداءِ سكوتهم عن موت المعنى الفلسطيني وإسقاطه من عقولهم وكتاباتهم؟ هل يغتفر لمثقف أن يقبل إعادة تعريف نقطة البداية في صراعنا التاريخي الطويل فلا يبدأ تحليله السياسي إلا من نقطة الرابع من حزيران أو الخلاف بين فتح وحماس، أو حصار غزة، فيشتري من السياسي العابث مفردات مثل «هم بدأوا لا نحن» «لا بد أن ينصاعوا وإلّا» ثم ينقسم المثقفون على مقياس انقسام سياسييهم وبنفس درجة العمى عن مسارات تاريخية بأكملها، لأن الثقافة الراضية السعيدة كانت تمارس نعاسها الأبدي وتحصر الصراع في ربع ساعته الأخيرة؟ هل يعقل أن تصبح «المصالحة» التي يهندسها أمنيون في دول الجوار هي القضية الفلسطينية! وهل يغتفر للمثقف السعيد أن يقبل إعادة تعريف الشعب الفلسطيني بصفته سكان مناطق السلطة الفلسطينية فقط، فلا يقترب من قضايا شعبنا الباقي في أرضه منذ انفجار الصراع على الساحل الأول أو قضايا أبناءِ الشتات واللجوءِ والنزوح والمخيمات والمنابذ والمنافي؟ وهل يعقل أن يشتري المثقف تلويث المصطلح ويتبناه فيصدق أن عملية السلام سلام وأن البرلمان برلمان وأن الانتخابات انتخابات وأن الشرعية شرعية وأن المعارضة معارضة وأن الواقعية واقعية بينما الواقع يقول لنا إن الأسماءِ زاغت عن مسمياتها ونأى عن اسمه كل مسمّى؟

حرق المعنى

هكذا اجتمعت لدينا في وقت واحد ركاكة النص وركاكة الموقف، وخلا الميدان للسياسي يصول ويجول بلا منتقد

لا ينحصر اللوم هنا على مدح المثقف أو هجائه لتفاصيل سياسة متغيرة وعابرة ولا على موقفه من هذا القائد أو ذاك ولا على قبوله فرصة أو منصباً أو رشوة معنوية تقع في باب الضعف البشري، فلا أحد يتوقع أن يكون الناس (والمثقفون منهم) حيشاً من القدّيسين، لكنّ الخطر يكمن في مكان آخر هو عندما يساهم أبناءِ الثقافة وبناتها في «حرق المعنى»: يعرض السياسي بضاعته المعطوبة للبيع فيزورّ عنها الناس ويرفضون شراءِها فيلجأ إلى حلَّين متزامنين، العصا والثقافة. السياسة تقمع أو تهدد بالقمع، والثقافة تقفز فوراً لتسويق البضاعة بمهارتها التي لا يتقنها غيرها. وأكثر البضائع رواجاً هي بالطبع خلق عصابات ثقافية موازية للعصابات السياسية، تتبادل توجيه الاتهام بلغة «مثقفة». هكذا يتم تلويث المعاني وأولها معنى النقد ذاته.

لا تأييد بلا نقد

نتذكر إدوارد سعيد وصيحته المجلجلة التي أصبحت إنجيل مثقفي العالم الأحرار وأبلغ تلخيص لضرورة الجهر بالحقيقة أمام صاحب السلطة أن «لا تأييد بلا نقد» فنرى في فلسطين تأييداً ولا نرى نقداً، نتذكر ناجي العلي الذي لم يمسك ريشته مرة واحدة إلا ليفضح بخطوطها من تليق بهم الفضيحة، ونبحث عن نموذجه بيننا فلا نجد، ولأن المشهد ضم كثيرين غيرهما من المبدعين فلن نواصل التعداد، كما أننا لن نبدأ في تسمية الكتاب والشعراءِ والباحثين «السعداءِ» ذوي المراتب والرواتب ممن يعبدون مراياهم لأننا لو بدأنا فلن ننتهي.

عن ملحق فلسطين / السفير

ماذا حدث للثقافة الفلسطينية في مملكة منطمة التحرير والسلطة؟ كيف أصبح الشعراء والروائيون موظفين سعداء بسيارات وسائقين وحراس؟ وكيف تفاقمت لدينا ظاهرة المثقف السعيد الذي هو آخر ما يحتاجه الوطن؟

المثقف إذ يتوسل السلطة

أصبحنا نرى تدافع الكتّاب والشعراءِ والنقاد واتحاداتهم إلى الجلوس في حضن الحاكم قد يأخذنا الاستعجال إلى محطة أوسلو كبداية لهذا الانهيار الثقافي في فلسطين لولا أننا نلاحظ الانهيار ذاته في البلدان العربية الأخرى، فبعد أن كانت سمة الثقافي هي النضال لانتزاع استقلاله عن السياسي والحفاظ على المسافة الضرورية بينه وبين القصر أصبحنا نرى تدافع الكتّاب والشعراءِ والنقاد واتحاداتهم إلى الجلوس في حضن الحاكم: فمعارض الرسم ومهرجانات الشعر وحلقات النقد الأدبي وتدشين المؤلفات تتم غالباً تحت رعاية الوزير أو الأمير أو بتمويل حكومي مشروط دائماً، والكارثة أن المثقف هو الذي يتوسل للرسمي أن يرعى معرضه أو أمسيته الشعرية أومهرجانه الأدبي بل ويغضب إن لم ينفق عليه. وهذا كله أهون من التزام الصمت عندما تلتبس الأمور. انتشرت قصيدة الهذيان وبات

لن يجدوا دماً في عروقه بل وقود الصواريخ

كان محمود درويش من عشّاق كرة القدم، وفي أيام المونديال كان لا يفارق البيت لكي لا تفوته مباراة، وكان حرصه على أمر كهذا يتجلى في اهتمام مُضاعف بسلامة جهاز التلفزيون، وضمان عدم انقطاع الكهرباء، أو الإحساس بالذعر لمجرد التفكير في إمكانية انقطاعها وقت بث المباريات. كما كان يقرأ في الصحف ما يُنشر من أخبار الفرق الرياضية، ويواظب على مشاهدة البرامج الرياضية في زمن المونديال. وغالباً ما تمحورت أحاديثه الخاصة في أوقات كهذه، وعلى مدار سنوات طويلة، حول كرة القدم، وحول مدى إعجابه بهذا اللاعب أو ذاك.

كتب محمود درويش مقالته "مارادونا" بعد الفوز التاريخي للأرجنتين على ألمانيا في العاصمة المكسيكية بثلاثة أهداف مقابل هدفين، وهي النتيجة التي أدت إلى فوز الأرجنتين بكأس العام في كرة القدم في العام ١٩٨٦. كانت المباراة المذكورة ذات نتائج غير متوقعة، فبعدما سجل الفريق الأرجنتيني هدفين، عاد الألمان وتعادلوا بهدفين، وسيطروا على أرض الملعب، لكن دييغو مارادونا، قائد الفريق الأرجنتيني، والذي يعتبر أحد أهم لاعبي كرة القدم في العالم، أنقذ فريقه، وسمعة بلاده، بهدف مفاجئ، وانتزع النصر من أنياب هزيمة متوّقعة.

وفي هذه المقالة، التي نشرها محمود درويش في مجلة "اليوم السابع" الباريسية، بعيد فوز الأرجنتين بالكأس في ذلك العام، يتجلى إعجابه بمارادونا، الذي لن يجد الأطباء دما في عروقه، بل وقود الصواريخ، كما يقول درويش بلغته الصافية، ونثره الرفيع.

محمود درويش

ما-را-دو-نا
لن يجدوا دماً في عروقه بل وقود الصواريخ
محمود درويش

١- ماذا فعلت بالساعة، ماذا صنعت بالمواعيد؟
ماذا نفعل بعدما عاد مارادونا إلى أهله في الأرجنتين؟
مع منْ سنسهر، بعدما اعتدنا أن نعلّق طمأنينة القلب، وخوفه، على قدميه المعجزتين؟ وإلى منْ نأنس ونتحمّس بعدما أدمناه شهراً تحوّلنا خلاله من مشاهدين إلى عشّاق؟
ولمن سنرفع صراخ الحماسة والمتعة ودبابيس الدم، بعدما وجدنا فيه بطلنا المنشود، وأجج فينا عطش الحاجة إلى: بطل.. بطل نصفق له، ندعو له بالنصر، نعلّق له تميمة، ونخاف عليه ـ وعلى أملنا فيه ـ من الانكسار؟
الفرد، الفرد ليس بدعة في التاريخ.
يا مارادونا، يا مارادونا، ماذا فعلت بالساعة؟ ماذا صنعت بالمواعيد؟

٢- سنتذكر لنسهر أكثر
فراغ الأمسيات يتقدّم منّا كطبل من حديد،
فنحن لا ننتظر أحداً. سنجر الخطى الثقيلة في اتجاه بيروقراطية النفس والوقت، وسنضطر إلى قبول مواعيد أخرى، نستعيد فيها الثرثرة اليومية حول المناخ، والعنصرية، والحروب الأهلية..
وسنتذكّر، لنسهر أكثر، عصرا ذهبياً عاصرناه:
العصر الذي حل فيه مارادونا ضيفا على لهفتنا، فأقلعنا عن كل شيء لنتفرغ لما مسّنا من طقس: محبة مارادونا، وتسييج قدميه بفضاء الرحمة، والقفز على الشاشة لفك الحصار الألماني الثقيل، الذي يسد الهواء على توتر عضلاته، وهجاء الحكم البرازيلي، الذي كسر قلب مارادونا، كما يكسر الرجل الغليظ القلب قلب طفل بريء.. لا لشيء إلا لأنه يغار من عبقرية الطفولة.

٣- يفلت كالصوت
له وجه طفل، وجه ملاك،
له جسد الكرة،
له قلب أسد،
له قدما غزال عملاق،
وله هتافنا: مارادونا.. مارادونا، فنتصبب اسمه عرقاً. ويقتلع الكرة كالقطة البلدية الماهرة، من أرجل البغل. يراوغ كالثعلب المزوّد بقوة ثور، ويقفز كالفهد على حارس المرمى الضخم المتحوّل إلى أرنب: جووول!
مارادونا يرسم علامة الصليب، يبوس الأرض. يقف. يُحاصرْ. يفلت كالصوت. يقطف الكرة. يحاصرْ. يمرر الكرة جاهزة على شكل هدية إلى قدم زميل ساعده في فتح قلعة الدفاع، فيصوّبها الزميل الماهر في اتجاه المدى والجمهور.
مارادونا يصفق من الوجع.
إن هو لم يسدد ستموت الأرجنتين من البكاء. وإن هو لم يصوّب سترفع الأرجنتين نصبا لعارها في الفوكلاند. سيتوقف الشعور القومي عن الرقص، وستربح انكلترا المغرورة الحرب مرتين.
ولكن مارادونا يتقدم بالكرة من حيث تراجعت السلطة. مارادونا يعيد الجزيرة إلى الأرجنتين. وينبّه الإمبراطورية البريطانية إلى أنها تحيا في أفراح الماضي.. الماضي البعيد.

٤- ما هذا السحر الجماعي؟
ما هي كرة القدم هذه؟ ما هذا السحر الجماعي الذي لم يحل لغزه الشائع أحد؟
مارادونا لا يسأل غريزته. سقراط البرازيلي هو المفكّر المشغول بتأملات ميتافيزيقية حول الضربة الركنية. وزيكو يلاحق كابوس ضربة الجزاء، التي طارت من الملعب فطارت البرازيل من الحلم. وبلاتيني يُحسّن شروط التقاعد. وبيليه الخبيث يُجاهد لإخفاء الشماتة التي تصيب الملوك المخلوعين. ولكن مارادونا يعرف شيئا واحداً هو أن كرة القدم حياته وأهله وحلمه ووطنه و.. كونه.
منذ طفولته الفقيرة في كوخ من تنك، تعلّم المشي على الكرة. كان يلف كرة الخيطان حول علب الصفيح ويلعب. ولعل الكرة هي التي علمته المشي.
مشى من أجلها. مشى ليتبعها. مشى ليلعب بها. ومشى ليسيطر عليها.
لقد تمحورت طفولته حول كرة الخيطان إلى أن ضحى أبوه براتبه الشهري ليشتري له كرة قدم حقيقية. وانطلق.. ليكون أصغر لاعب في منتخب الأرجنتين. وهكذا، ارتفع مارادونا ـ الولد المعجزة ـ من أشد البيوت فقرا إلى أوسع الآفاق، إمبراطوراً على كرة القدم.
لم يكترث في صباه بشاشة السينما والتلفزيون. ولكنه احتل الشاشة ـ ليشاهده أكثر من ملياري إنسان، كما ترنو العيون إلى نجم في السماء ـ بقدميه. لقد رفعته الكرة، وارتفع بها، إلى أعلى أعالي الكلام.

٥- عذاب حارس المرمى وضربة الجزاء
مارادونا هو النجم الذي لا تزاحمه النجوم. دانت له بقدر ما دان، هو، لكرة القدم، التي صارت كرة قدمه. النجوم تبتعد عن منطقة جاذبيته لتفتتن بما تراه، لتراه من الجهات كلها، لتبهر في معجزة التكوين، لتصلي للخالق والمخلوق، لتحتفي بحرمانها المتحقق في غيرها، لتنشد نشيد المدائح لمن جعلها تُهزم بهذا الامتنان: فما أسعد من هزمته قدم مارادونا!
هذه القدم، قدم مارادونا، مع كعب ميثولوجي آخر هو كعب أخيل.. هما أشهر قدمين في تاريخ الأسطورة.
فلماذا نخبئ التساؤل المكبوت، الذي يوقده فينا هذا الجنون الجميل، الجنون الذي تنشره كرة القدم، كالعدوى، في ملايين البشر: لماذا لا تكون كرة القدم موضوعا للفن والأدب؟ أكرر: لماذا لا تكون كرة القدم موضوعا للفن والأدب؟
ولماذا لا يتعامل الأدب مع هذا البارود العاطفي، الذي يشعل الملايين في علاقتها بالمشهد الذي يحولها هي إلى مشهد درامي؟ ثم: أهناك عذاب أشد، ووحشة أقسى من عذاب حارس المرمى، ووحشته الكونية، أمام ضربة جزاء؟
و: أهناك ضغط نفسي أثقل من ضغط الوقوف الدقيق على وتر النجاح أو الفشل، والتحكّم بمصير الأمة المعنوي، حين يقف الهدّاف الماهر لتسديد ضربة الجزاء؟
أليست هذه اللحظات اشد قسوة ورهافة وتفجيرا للعاطفة الفردية والجماعية من اللحظات، التي يواجهها "مقامر" دستويفسكي، مثلا؟

٦- حرب التأويلات
ما هي كرة القدم هذه؟
هي شيء من صراع التأويلات، ومسرح واقعي لتعديل موازين القوى، أو المحافظة عليها، لخلق مستوى آخر للواقع، أو تثبيته. هي شيء من لعبة إعادة تركيب العالم على أسس مختلفة، وعلى جدارة مختلفة.
حرب عالمية يمارس فيها خيال الشعوب دوره الغائب أو الحاضر. لا أحد يتفرج على سباق الأجساد، والمهارة، والذكاء، المعبّرة عن طبائع الأمم في الهجوم والدفاع، في العنف والرقص، في الفردية والجماعية. الجميع ينخرطون.
ولعل المشاهدين هم أشد اللاعبين اندفاعا لأنهم يدفعون بتاريخهم النفسي وتأويلاتهم ورغباتهم في التعويض إلى الملعب، لرفع اللعبة إلى مستوى التعبير التمثيلي المتخيّل عن روح الأمة وحاجتها إلى التفوّق على الآخر. هي الوطنية المتفجرة. شرارة الإفصاح عن الباطن في علاقته بالآخر. وهي حرية الإفصاح المتاحة عن الذات المحرومة من الإفصاح في سياق السياسة أو الجنس أو اللون.
هي انفجار حرية تعبير عن حرية غائبة، أو عن سيادة تسعى لأن تواصل سيادتها. هي شيء من الصراع الاجتماعي أحيانا، وعن وحدة القوى الاجتماعية الداخلية في صراعها القومي مع الخارج أحيانا أخرى.
هي المُتاح للتعبير والتنفيس والتظاهر ضد قمع يتحوّل الحَكم، أو المدرب فيه، إلى رمز لحاكم ظالم، أو لقضاءٍ غير عادل حين تتخذ محاكمة الهزيمة شكل محاكمة السلطة، أو حين يتخذ الانتصار شكل التدليل على أن روح الشعب ووحدته هما اللتان انتصرتا، وأنهما لا يتحملان المسؤولية عن هزيمة عسكرية ليست حتمية.
وأحيانا تتخذ اللعبة معنى الانتقام الجماعي أو التعويض الجماعي عن عدم التكافؤ في موازين القوى بين دول كبرى ودول صغرى. وباختصار، فإنها تمثل ما تبقى من إجماع حول فكرة، أو حماسة، أو قوّة، أو هدف.
إنها حرب التأويلات ومن مظاهرها الوحدة الأوروبية المفاجئة حول ألمانيا في المباراة النهائية التي اتخذت شكل الصراع الأوروبي ـ الأميركي اللاتيني، بينما لم يعبر "العالم الثالث" عن وحدته.
وقد يحمل هذه الدلالة انحياز الحكم البرازيلي السمسار المستلب، الذي بذل جهودا طائلة للحصول على "البراءة" الأوروبية من تهمة محتملة لأن مقياس النزاهة هو مقياس أوروبي! فغضّ الطرف عن المخالفات الألمانية الفظة، وعاقب مارادونا بقسوة زائدة، فذكرنا بأن العالم الثالث لا يتوّحد حول ذاته، بل يوّحد استلابه أمام السيد. إنه يرنو إلى نموذجه الآخر، يتملق "غربه" ولا يحب لطرف من أطرافه أن يساويه بغير الهزيمة.

٧- الملك الأحمق لا يوقف موج البحر
لكن مارادونا، كما استقر فينا، خفف من انسياق هذه التأويلات إلى ما هو أبعد. لقد رفع كرة القدم إلى مستوى التجريد الموسيقي الشفاف، رفعها إلى الطهارة المطلقة.
لم يحرّك فينا العاطفة القومية، فهو ليس منّا. ولم يحرك فينا وحدة التضامن مع العالم الثالث ممثلا في الأرجنتين، التي لا تريد هذا الانتماء، وتستمرئ تبعيتها المثقلة بالديون والعنصرية الرسمية، ولكنه حرّك فينا حاسة الدفاع عن النفس أمام هجوم الإشارات العنصرية الغربية، ومنها تعليقات التلفزيون الفرنسي.
لعب مارادونا من أجل اللعب. وحوّل كرة القدم إلى أغنية راقصة. مزيج من السامبا البرازيلية والتانغو الأرجنتيني.
لا يمكن إيقافه ـ كما لا يمكن للملك الأحمق أن يوقف موج البحر. هكذا يقول الخبراء الرياضيون الذين وجدوا في المرجعية الشعرية اللغة الوحيدة القادرة على وصف هذا الشيطان الملائكي، صانع الفرص، نشّال ماهر، موجود في كل مكان، حوّل الملاعب المكسيكية إلى مرتعه الخاص.
المونديال هو مارادونا. قوي كالثور. سريع كالقذيفة.
يدخل الملعب كأنه داخل إلى كنيسة. يغربل الدفاع ويهدّف. نجم هذا العصر. لن يجد الأطباء دما في عروقه ـ سيجدون وقود الصواريخ. يمر كالهواء عبر المساحات الضيقة. ملك الكرّة المتوّج الذي قال:
"سجلت الهدف الأوّل في مرمي الإنكليز بيد الله ورأس مارادونا".

٨- مارادونا، يا بطلي...
مارادونا، يا بطليّ إلى أين نذهب هذا المساء؟
مارادونا، ساعد أبويك، ساعدنا على تحمل هذه الحياة، وساعد هذا العصر على الخروج من السأم والدخول في الحنين إلى البطولة الفردية.
مارادونا، متى تحمل اسمك عن شفاهنا لنعود إلى قراءة هيغل ونيتشه؟
مارادونا، مارادونا، مارادونا!!

عن الأيام

صانع الأقفال الذي كسرها ليحلّق عالياً

في منتصف آذار ١٩٩٨، وبعد ثلاثة شهور من ارتكاب مجزرة "اكتيال" في "تشاباس" بالمكسيك، كان "الشيوعي العنيد"، جوزيه ساراماغو، يقف هناك، صامتاً.. يُصغي بذهول إلى صدى صوت الرُّعب في شهادات الناجين من هول مذبحة كان ضحاياها من السكان الأصليين للبلاد، المطالبين بحقوقهم السياسيّة والإنسانيّة.

فاروق وادي

بدا المشهد لعينيه مثقلاً بالتفاصيل: الجنود، تساندهم قوّات أخرى شبه عسكريّة (وبدعم سياسي وماليّ وعسكري من الولايات المتحدة، بكل تأكيد) يُطلقون الرصاص بعماء. نساء وأطفال يفرّوُن هلعين، بعضهم يسقط بالرصاص وآخرون تبتلعهم ظلال الأدغال. جثث تتناثر على الأرض، وجرحى ينزفون، يتعالى أنينهم في فضاءٍ أصمّ صادرت منه أميركا حتّى نسمة الهواء.

لم يتردّد ساراماغو في الحديث إلى صحيفة مكسيكيّة شهيرة، وبجرأته المعهودة، قال: لقد رأيت الرُّعب. من الصعب أن يدوس المرء أرضاً شهدت مجزرة كهذه. لقد كانت هناك حرب تختلف عن كلّ الحروب، ليس فيها غير فريق واحد يُهاجم، هو الجيش والمسلحون الذين تلقوا دعماً أميركياً. أما الفريق الآخر، من السكان الأصليين، فلم تكن لديهم وسائل للمجابهة. فقد كانوا مطوّقين. لا ماء لديهم ولا غذاء. كأنهم في مُعسكر اعتقال!.

مرّة أخرى، بعد أربع سنوات، كان الكاتب الذي رأى.. يرى. ولكن هذه المرّة في فلسطين. فخلال الزيارة التي قام بها وفد البرلمان العالمي للكتّاب إلى فلسطين (٢٤ - ٢٩ آذار ٢٠٠٢)، كان جوزيه ساراماغو يصف بجرأته المعهودة ما رأى. لم يتردّد من عقد مقارنة بين مشهد الحياة اليوميّة في رام الله بالمشهد التاريخي الذي صنعه الهولوكوست في "أوشفيتز". أضاف متسائلاً: أولئك اليهود الذين قضوا في المعتقلات النازيّة، والذين قضوا في المذابح أو ظلوا منسيين في الغيتوات، ألن يشعروا بالخجل من الأعمال الشائنة التي يرتكبها نسلهم؟!.

ولأنه رأى، وقال ما رآه دون خوف أو تردُّد، فقد انطلقت عليه السهام من كلّ الجهات. من اليميني الصهيوني الذي اتهمه بـ "العمى" (عنوان روايته الشهيرة) و"الستالينيّة"، و"الانسياق وراءِ الدعاية الفلسطينيّة الرخيصة" (ردّ عليها بأنه يفضِّل الانسياق وراءِ الدعاية الفلسطينيّة "الرخيصة" على الانسياق وراءِ الدعاية الإسرائيليّة "الباهظة"). وبالدرجة نفسها، لم يستثنه كتّاب اليسار الصهيوني، وفي مقدمتهم عاموس عوز وديفيد غروسمان، اللذان استخرجا من جرابهما أفعى التهمة الصهيونيّة المعلّبة، التي يقذفونها، بكل سمومها، في وجه الذين يجرؤون على المسّ بـ "تابو" الأخلاق الإسرائيليّة "النظيفة" والمشهود لها بـ "طهارة السِّلاح"، أو يدينون المجزرة المتواصلة منذ ستّة عقود وأكثر: إنها تهمة "اللاساميّة" التي لم يترددوا بإلصاقها بساراماغو قبل أن يغادر رام الله.

لكنه الوعي الذي ظلّ يتحلّى به الشيوعي العنيد حتّى لحظته الأخيرة، والشجاعة التي لم يفتقدها يوماً، رغم ما كان يجلبه الموقف على صاحبه من شقاءٍ، في عالم أعمى، فقد البصر والبصيرة؟!.

لم ينزعج ساراماغو من بلوغ ردود الفعل الإسرائيليّة إلى هذا الحدّ، واتساعها إلى درجة أن المكتبات الإسرائيليّة امتنعت عن بيع كتبه (في وقت كانت فيه الأكثر مبيعاً هناك)، وإنما لأن برلمان الكتّاب العالمي نفسه استنكر شجاعته وتبرأ من كلامه.. بل "ونبذوني كأني الطاعون"، كما قال. وعلى إثر ذلك، أعلن الكاتب البرتغالي انسحابه من عضويّة البرلمان (هل هناك كتّاب عرب أعضاءٍ في هذا البرلمان العالمي تضامنوا مع ساراماغو في تلك الأزمة.. وانسحبوا؟!).

لم يكفّ ساراماغو عن انتقاد الممارسات الإسرائيليّة، ووعيها الزائف الذي تروِّج له، فقال إن إسرائيل تريدنا جميعاً أن نحسّ أننا مقترفو فظاعات الهولوكوست، بصفة مباشرة أو غير مباشرة. إسرائيل تريدنا أن نتخلّى عن أدنى حكم انتقادي، وأن نعترف بحصانتها المطلقة.. "إن حجارة داود قد انتقلت الآن إلى أيادٍ أخرى. الآن، الفلسطينيون هم من يقذفون بها. إن جالوت يوجد في الجانب الآخر، مسلحاً ومجهّزاً كما لم يكن من قبل أي جنديّ في تاريخ الحروب".

لم يتوقف مؤلف "العمى" عن رؤاه الثاقبة وهو يطوف أرض الله الواسعة. ومثلما فعل في المكسيك، فعل في الاكوادور، وفي مناطق أخرى من أميركا الجنوبيّة، وفي إفريقيا التي تردّد خلال سنواته الأخيرة على أواخر المستعمرات البرتغاليّة فيها.. في أنغولا وموزمبيق، أو بقاع أخرى وصلها أو لم يصلها، ولكنه ظلّ يمسحها على الخرائط، مواصلاً مهمة الدفاع المبدئي عن العدالة وحقوق سكان البلاد الأصليين.. الأسياد الحقيقيين للأرض، مع التنديد بديمقراطيّة البيض الكاذبة التي سلبت هؤلاءِ حقّهم في أرضهم وعملت على تمزيق هويتهم وإفنائها، مستشهداً بعمليات الإبادة العنصريّة للشعوب الأصليّة في الولايات المتحدة الأميركيّة، "حيث تقبع الجلود الحمراءِ في المحميات كما لو أنها في حديقة الحيوانات"!.

الكاتب الرائي، راهن على أن العالم لن يظلّ أعمى، وأنه سوف يرى ذات يوم تلك الحقيقة الساطعة التي يراها هو بوضوح، وسوف يعترف بأن "العولمة هي نظام شمولي أيضاً"، مردداً أن هرّ العولمة سيلتهم بلا رحمة حقوق الإنسان، وأن أميركا، بأصوليتها وأنانيتها ووقاحتها، تعيد إلى التاريخ ظاهرة استعمار تدريجيّة، بما تنطوي عليه من نزعات مرضيّة بالسيطرة على العالم، وهي ترتد بالكون إلى زمن الامبراطوريات الاستعماريّة الأولى!

مضى جوزيه ساراماغو، ابن الشرطيّ الذي هيّأته حياة العائلة ليكون منضبطاً، وهيأته دراسته، صانعاً للأقفال التي تعلمها في إحدى المدارس الصناعيّة، ليمارس الإغلاق، إلاّ أنه عاش حياته ليكسر الأقفال ويفتح أبواب الحريّة على مصراعيها، ويُحلّق عالياً.

كان ساراماغو يعتزّ بانتمائه لجذر عربيّ موسوم بالشجاعة، وقد ولد في قرية "أزينهاجا" (المشتق اسمها من الكلمة العربيّة "الزنقة"، رغم وقوعها على تقاطع نهريّ الألموندا مع التاجو) لكنه مع ذلك خرج من زنقة الحياة إلى رحابة العالم، دون أن يوارب في الإعلان عن أفكاره ومواقفه المبدئيّة الأكثر شجاعة.

وقد ظلّ الكاتب البرتغالي الوحيد الحائز على نوبل للآداب، طوال عمره الذي كاد يبلغ التسعين، يشكّل النموذج والمثال على حقيقة أن الرؤية الثاقبة، عبر الخيال الإبداعي، لا تنفصل عن رؤية الكاتب للعالم من حوله، ولا تقوم الواحدة منهما بمعزل عن الأخرى، أو بديلاً لها. فهو الرجل الذي رأى ما رأى، في نصّه، وفي الواقع القاسي من حوله.. معاً.

بعيداً عن ادعاءِ الفروسيّة، التي حرص على أن ينفيها بشدّة، كتب جوزيه ساراماغو في سيرته الذاتيّة "الذكريات الصغيرة" يقول بحزن شفيف: "من يزرني للمرّة الأولى يسألني إن كنتُ فارساً، بينما الحقيقة الوحيدة هي أنني ما زلت أعاني آثار السقوط عن سرج حصان لم أمتطه أبداً. ربما لا يُلاحظ هذا من الخارج، لكن روحي تسير عرجاءِ منذ سبعين عاماً"!

أضاف متسائلاً: أولئك اليهود الذين قضوا في المعتقلات النازيّة، والذين قضوا في المذابح أو ظلوا منسيين في الغيتوات، ألن يشعروا بالخجل من الأعمال الشائنة التي يرتكبها نسلهم؟!.

ساراماغو "الكاتب المتمرد"

الكاتب البرتغالي جوزيه ساراماغو الحائز جائزة نوبل للاداب في العام ١٩٩٨، والذي توفي الجمعة، ١٨ يونيو ٢٠١٠ عن ٨٧ عاما على جزيرة لانزيروتي الاسباني، صاحب روايات مركزة تقترب من الخيال وتدعو الى التمرد على اوضاع العالم.

ولد في تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٢٢ في بلدة ازينهاغا في وسط البرتغال، في عائلة مزارعين لا ارض لهم نزحت الى لشبونة.

انقطع عن الدراسة في سن الثانية عشرة، وتدرب على مهنة صناعة الاقفال ومارسها سنتين.

وبعدما اصدر راويته الاولى "ارض الخطيئة" في العام ١٩٤٧، انتظر ١٩ عاما لاصدار كتابه الثاني وهو ديوان شعري بعنوان "اشعار ممكنة".

وعمل في هذه الاثناءِ في الادارة، و في دور نشر، وتعاون مع صحف عدة.

انخرط في صفوف الحزب الشيوعي الذي كان سريا في العام ١٩٦٩، وشارك في ثورة القرنفل في ٢٥ نيسان/ابريل ١٩٧٤ التي وضعت حدا لحكم سالازار الاستبدادي.

صدرت روايته الثانية "وجيز الرسم والخط" في العام ١٩٧٧، لكنه لم يعرف الشهرة الا في العام ١٩٨٢ وهو في سن الستين مع رواية "الاله الاكتع"، وهي قصة حب تدور احداثها في القرن الثامن عشر.

في العام ١٩٩٢ اثار ساراماغو جدلا كبيرا جدا في البرتغال بسبب كتابه "الانجيل بحسب يسوع المسيح"، الذي قال فيه ان المسيح اقام علاقة جنسية مع مريم المجدلية، وانه اداة في يد الله لبسط هيمنته على العالم. فغادر حينها وطنه لينتقل الى ارخبيل الكاناري الاسباني.

في آب/اغسطس ٢٠٠٨ نشر كتاب "رحلة فيل" بعيد اصابته بالتهاب رئوي خطر ليتبعه في السنة التالية بكتاب "قاين" الذي يروي باسلوب ساخر الرواية التوراتية حول اقدام قاين على قتل شقيقه هابيل.

وخلال تقديم هذا الكتاب اثار ساراماغو مجددا جدلا واسعا عندما اعتبر ان الكتاب المقدس "موجز للاخلاق السيئة".

وخلال ستين عاما اصدر ساراماغو حوالى ٣٠ عملا راوحت بين الرواية والشعر والمحاولات الادبية والمسرحيات.

٥ ملاحظات على أسطول الحرية: حنين زعبي كمثال

من المتبع في مناحينا أن نخجل من شخصنة النضالات وأن نسعى بكلّ صيحاتنا كي نسبغ القضية العينية لقائد/ة بشعارات الوحدة و"كلنا" و"قضيتنا جميعًا". ومن الجائز أن يكون هذا الأمر مُحبذًا عندما يكون الفرد الذي في الواجهة انتهازيًا بجدارة أو منتحلا، مثل أن تنشر عن تهديد على حياتك بعد شهر من وقوعه، لمجاراة العناوين الآنية. ولكنّ هذه النزعة سيئة أيضًا في حالة النائب حنين زعبي، التي برزت –هي ورائد صلاح– في الإعلام الإسرائيلي والعربي بعد مجزرة أسطول الحرية.

علاء حليحل

١

نحن بحاجة إلى نساءٍ قائدات وبحاجة ماسّة إلى إبرازهنّ بالاسم والصوت والصورة وعدم الاختباءِ وراءِ "نحن" مفتعل أو مبالغ به، لاعتبارات تنافسية حزبية (الأحزاب مقابل بعضها البعض والأحزاب على نطاق صراعاتها الداخلية). يجب أن يظلّ اسم حنين زعبي في العناوين رغم الحساسية و"الحَكّة" اللتين يمكن أن يسببهما هذا للكثيرين؛ فالسياسة في عصرنا عناوين وصورة أو كليب من ثلاثين ثانية. أنا كعربي في الدولة لا اسم لي ولا صورة إلا أسماءٍ وصور قيادييننا وآخرين من أهل الثقافة والفن، يرانا العالم من خلالهم. يجب أن نحمي هذه الصور والأسماءِ وأن نبرزها عاليًا، فكلما برزت زاد حضورنا في العالم.

إلى الأمام حنين زعبي ولا تتنازلي عن أيّ لقاءٍ صحافي أو عنوان أو صورة. نحن بحاجة إليك في العناوين.

٢

لماذا لم يكد أحد أن "يلتكش" لرئيس لجنة المتابعة العليا، محمد زيدان، العائد من وغى مجزرة الأسطول، كما حدث مع زعبي وصلاح؟ حتى إنّ الكثيرين –بعد كل هذه الضجة في الأيام الأخيرة– لم يسمعوا بوجوده أو لو يسمعوا له صوتًا. أهو تقصير من إعلامنا العربي أم أنّ إعلامنا وجمهورنا باتا يائسيْن من لجنة المتابعة المهترئة إلى هذه الدرجة؟

٣

أعجب من التنظيمات النسوية العربية في البلاد (واليهودية طبعًا، ولكن لنترك هذا الآن)، التي لم تحرّك ساكنًا نسويًا بعد الهجمة الشوفونية الذكورية الساقطة على حنين زعبي في الكنيست. كما أنني أعجب وأتساءل حقيقة كيف تعمل هذه التنظيمات النسوية (المعدودة على "الجبهة" و"التجمع" على حدّ سواءٍ)، وبأيّ عقل تفكّر. فالتنظيمات النسوية في العالم تنتظر فرصة لا تتكرر أبدًا كهذه كي تحمل قضية نموذجية بجدارة وتغزو الشوارع والإعلام. ماذا تنتظر هذه التنظيمات؟ وإذا كان الأمر سيكون "مفهومًا" مع هزة رأس عاتبة بما يخصّ التنظيمات النسوية "الجبهوية"، فماذا مع الباقي؟ هل فكر أحدهم بأنّ ربط قضية زعبي بالأجندة النسوية قد يقود إلى مسار خلافيّ لدى جماهيرنا الصامدة؟ وفي حال كان هذا صحيحًا أليس من اللازم على جميع نسويات البلد أن يقررن نهائيًا والآن: أنتنّ حزبيات أم نسويات؟ الاثنتان لا تجتمعان وإذا اجتمعتا فالحسم دائمًا لصالح الحزب. أنظروا إلى "الجبهة" و"التجمع" وسترون الأمر ببساطته.

وكيف يمكن أن ننسى تخلف وغباء وإكراه ٤٠٠ عام من الاستعمار لمجرد أنّ الرئيس التركي غضب على دولة إسرائيل؟

أين الندوات؟ أين المقالات؟ أين الحملات؟ أين النشاطات؟ أين الأجندة النسوية؟ أين إبراز أنّ زعبي نسوية بارزة ورائدة؟ وأين رفض الذكورية علنا والإشارة إليها كموبق لا يقلّ خطورة عن الاحتلال بذاته؟... إمرأةٌ تُهان في المشهد الجماهيري-السياسي العام لأنها امرأة (عزباءِ في الـ ٣٨ من عمرها) وجميع نسويات البلد غائبات (عن الأفعال النسوية وليس الحزبية). النسوية فعل صداميّ مستمرّ وليست رحلة تسويات مريحة مانعة للإحراجات.

هذا فشل عَرمْرَم يستوجب ألف سؤال وألف محاسبة!

٤

أستعجب أيضًا أن يقول سياسيّ بارز من عندنا إنه يغفر لتركيا ٤٠٠ عام من الاحتلال بعد مجزرة الأسطول. عفوًا؟... من قال إنّ تركيا المهدي المخلص، ولماذا نهبّ كالأطفال السُذج –في كل مرة من جديد– لننقاد وراءِ حماسة تبرد لاحقًا، متناسين أنّ تركيا دولة مستقلة لها مصالحها وصراعاتها الداخلية المستفحلة، والحزب الإسلامي الحاكم يستخدم غزة وفلسطين في صراعه الكبير مع المحكمة العليا التركية والجيش العلمانيين؟ تركيا ليست ملاكًا يبكي على أقدام الفلسطينيين، وإلا لما اكتفت بالاستنكار كالنعاج عندما فلحوا غزة قبل أقلّ من سنة. وكيف يمكن أن ننسى تخلف وغباءِ وإكراه ٤٠٠ عام من الاستعمار لمجرد أنّ الرئيس التركي غضب على دولة إسرائيل؟ أين أسطوله الحربي الذي توعّد به؟ من المفترض بالسياسيين أن يقودوا الناس، أن يوجّهوهم، أن يصوّبوهم، لا أن يركبوا على موجات الحماسة الشعبوية الإنفعالية.

نشكر تركيا على دورها الحالي ونأمل أن لا يتغير موقفها أو أداؤها وفقا لتطورات علاقاتها وغزلها الدائم مع الاتحاد الأوروبي والولايات المتحدة.

٥

كان من الخطأ أن يقاطع النواب العرب جلسة الكنيست التي ناقشت مسألة تجريد النائب حنين زعبي من بعض امتيازاتها. لماذا مقاطعة مثل هذه الجلسة وعدم مقاطعة النقاش في الهيئة العامة أو لقاءٍ في القناة الثانية مثلا؟ في جميع هذه الأماكن اللعبة "مَبيوعة" إذا كان هذا السبب. يجب أن نكون حذرين في مسألة المقاطعة هذه. من يرغب في لعب اللعبة السياسية والإعلامية عليه أن يكون مثابرًا فيها وواضح الرؤية. كان على زعبي أن تكون هناك أيضًا، وأن تقشر المزيد من طبقات الحقارة التي يرتع فيها الكنيست الإسرائيلي.

هذيان حقيقي

خالد قطامش

(١)

القدس عاصمة الثقافة العربية للعام ٢٠٠٩ !!
عندما كان عمري ٣٠ عاماً تحرقت شوقا لكي أصبح ٣٥ علني أتمكن من الدخول إلى القدس حيث كان هذا العمر هو "تصريح الدخول" إلى القدس،
وعندما بلغته اصبح العمر المسموح به ٤٠ عاماً وعندما بلغت الأربعين، صار العمر المسموح به هو ٤٥ سنة.... قلت بسيطة !!! فالعمر مثل لمح البصر،
وعندما بلغت ٤٥ صار العمر المسموح به دخول القدس في بعض المناسبات الدينية فقط ٥٠ عاماً،

وهنا وقفت وتساءلت..؟؟؟ يا ترى عندما ابلغ الخمسين من العمر سأستطيع الحصول على تأشيرة دخول الى القدس من ممثلية اسرائيل في رام الله!!!!

(٢)

محاسن ال ٤٥ !!!
لئن مضى من عمرك ٤٥ عاما وكنت فلسطينيا فأنت محظوظ ....تهمس لماذا؟؟؟
انت مش بحاجة الى فيزا لدخول الشقيقة مصر... يا سلام!! فمصر أم الدنيا
وأنت مش بحاجة للخروج في البرد القارص، حين يفرض' منع التجول وينادى على الشباب الاقل من سن ٤٥ بالمثول أمام قوات الاحتلال....يا محاسن الصدف!!
فعمرك تجاوزال ٤٥ وذلك يعني أن فرصتك بالحصول على تأشيرة دخول الى واحة الديمقراطية بلاد العم سام صارت اكبر من غيرك ....يا حلاوة!!!

وأيضا ممكن أن تمر عبر إحدى بوابات "الجسر" دون المرور في الة كشف الارهابيين....ياه هههههه!!!!
أنت بلغت الخامسة والأربعين عليك أن تفتخر... فنمرة حذاءِ الزيدي تحمل نفس الرقم....هيك عدلتها !!!

(٣)

شرطي ومخبر وقوة خاصة!!!!
كنت مزعوج جدا من عدد المشاركين في الفعاليات التي رافقت التحركات الشعبية للتضامن مع نصفنا الأخر في وجه الحقد العنصري.
وكنت أتساءل دائما أين التنظيمات وأطرها الجماهيرية.
ولكن عندما رأيت مسيرة يوم الجمعة والتي رافقت تحركات الشارع في كل أقطاب الدنيا، فرحت لهذا الكم الهائل من المشاركين. ولكن هذه الفرحة لم تدم طويلا، واكتشفت أن الحضور موزعين شرطي، ومخبر، وقوة خاصة ومواطن! فقلت ربما أن الجميع يود أن يعبر عن رأيه ويفرغ ما يدور في داخله.
ولكن بأسرع من البرق تحول الثلاثي إلى أداة قمع موحدة في وجه الرابع حيث اكتشفوا اختلافه عنهم.

(٤)

شرطيات!!!!!
سررت كثيرا عندما شاهدت "صبايا" يلبسن الزي الشرطي في مسيرة رام الله ، وقلت حقيقةً إن رام الله تشكل نموذجاً مختلفاً عن باقي المدن الفلسطينية بتعدد مشاربها السياسية وبكثرة مراكزها الثقافية والفنية وبتعايشها الديني التي تشكل مجتمعة عناصر هامة لمدينة عصرية، ولكن بلحظة أسرع من البرق انقلبن هؤلاءِ "الصبايا" الجميلات إلى وحوش كاسرة بهجومهن على شابات في نفس عمرهن وملاحقتهن لصبية بعمر إخوتهن وأيضا لاكتشافهن باختلافهم عنهن.

شماس - شماس: "بْعرض إمي" إشي فلِع!

من الصعب تسمية العرض الذي يقدّمه الفنان حنا شماس في الأيام الأخيرة "ستاند أب" بالمعنى الكامل والمتداول للكلمة- ولكنه عرض "جامد"، إذا سمح لي شماس بتبني توجّهه الخطابيّ في العرض. فشماس لا يقلد إيدي ميرفي (مثلا) في عروضه الستاند أبية، من ناحية اللجوء إلى "سليبستيك" كـ "مُكبّر صوت وحركة" للمضامين التي يسردها، بل تراه في معظم العرض يلجأ إلى حميمية ما مع جسده، مع صوته، مع وقفته على المسرح، على عكس المتوقع من ممثل يقف على الخشبة وحده أمام قرابة ٣٥٠ شخصًا وعليه أن "يعمل دبّ وسعدان" كي لا يملّ الجمهور الآتي للضحك بالأساس.

علاءِ حليحل

كان أطزج عرض لـ "بْعرض إمي" الذي يقدّمه شماس كعرض وحيد (one man show) الأربعاءِ، ٢٣ حزيران، في القاعة الكبرى في مسرح "الميدان" في حيفا، وكانت القاعة ممتلئة- إذا كان هذا المقياس يهمّ هواة العدّ.

إنه العرض الثالث في سلسلة العروض وهو الأول الذي أشاهده، وبشهادة من رأى العرضيْن السابقيْن (أو أحدهما) فإنّ العرض الأخير كان قفزة واضحة، على عكس البدايات. وبالفعل: حنا شماس رائع!

عندما يدخل شماس إلى المنصة على خلفية شانسون فرنسي تتبادر إلى ذهنك فورًا شخصية "مستر بين" التي تشبه شماس شكلا ومَسلكيًا. عندها توجّستُ. فشماس الذي بدأ الرقص على ألحان هذه الأغنية بدا أنه سيرتكن إلى السّهولة الفورية الكامنة في شخصيته الكوميدية وسيتأتئ وينسى النصّ وسيستنفد ويستنزف جميع الوقفات والصّفنات والحديث عن اللخات، وهي أمور قدّمها شماس في مسيرته الفنية حتى هذا العرض. لكنّ شماس يُدهشك في المشوار الذي قطعه من وقت "شما س - نحا س" (اللذيْن أحببناهما- في البدايات بالأساس) وحتى هذا العرض المتفرّد، حتى تخاله اختمر طوال سنواته الأربعين (تقريبًا) كي يقف ويحكي القصّة من أولها: من آدم وحواءِ وحتى إعلانه البطولي الفتاك: "أنا مش زلمه"! أنت ترى حنا شماس جديدًا، ساطعًا، لا يخجل من تعثره اللفظي أحيانًا أو عفويته الجسدية في وقفته على المسرح؛ يتحدّث بصدق كبير، بتفاصيل مُخجلة أحيانًا عنه، بغضّ النظر عمّا إذا كانت أوتوبيوغرافية حقًا أو لا- ما يهمّ أنها تُروى أمام جمهور النساءِ والرجال على أنها حياته الشخصية. إنه انتحاريّ فدائيّ لا تدري كيف خرج من مسيرة شماس التي تعثرت بعض الشيءِ مؤخرًا، وربما لهذا السبب وضع شماس بيضاته (بجميع ما تحمله الكلمة من معان) في سلة هذا العرض- وعليه وعلى أعدائه.

وربما لهذا السبب وضع شماس بيضاته (بجميع ما تحمله الكلمة من معانٍ) في سلة هذا العرض- وعليه وعلى أعدائه.

منذ زمان لم أرَ أو أقرأ أو أسمع مثل المونولوج الطويل الذي يتلوه شماس على المنصّة، ذابحًا فيه كلّ التابوهات والبقرات الاجتماعية: العادة السرية (عند الشباب والصبايا على حدّ سواءٍ!)، السكس، النفاق، التلون، العادة الشهرية، مجلات السكس، مواقع الانترنت، الدقائق الأربع التي تستغرقه كي "يُبعبع". حتى في قاموس المصطلحات والكلمات ذبح بقرة أو اثنتين، مثل "على زبي"، "أخو منيوكة"، "تعريصة"، "كس أخت"، الخ من درر اللغة العربية الجميلة التي علمونا أنها "قذرة" و"مهينة" و"عيب"، مع أنها من الركائز الأساسية في تطوير شخصية كلّ عربي فخور. ولا ينسى شماس النفاق السياسيّ والنكبة (ما قبلها وما بعدها) والحالة السوريالية التي يحياها العربي في ديارنا.

يقف شماس أمام جمهوره ويقدم "ستاند أب وجودي" إذا أردتم؛ ستاند أب لا يخجل بالتراجيديا التي يتحدث عنها ولا يتوانى عن عيش لحظات صدق محزنة ودرامية في منتصف الضّحك (طالت أكثر من اللازم في موقع أو اثنين). إنها الكوميديا العنيفة، مسرح القسوة، الفن الملتزم في تجليه، رغم سخرية شماس نفسه من الفن الملتزم في العرض نفسه. شماس ملتزم بهمومه، بهواجسه، بشخصه، بعائلته، ببلده؛ هل هناك ما يمكن الإلتزام به أكثر من هذا؟

وإذا كان الشاعر الأمريكي المخضرم تشارلز بوكوفسكي قال "الكتابة الحذرة هي كتابة ميتة"، فإنّ شماس حيٌّ، ممتلئ حياةً.

كما أنّ الجمهور أبدى نضجًا في التفاعل مع "بذاءِات" و"سفالات" حنا، ولم ينسَ أن يصغي بتمعّن أيضًا وهو يضحك، فكان التصفيق يتلو نقدًا جارحًا يقوله شماس- وهذه شهادة تُذكر، رغم التساؤل الذي تساءِلناه أنا وصديق في نهاية العرض: هل يمكن عرض هذا الستاند أب في مجد الكروم أو الناصرة أو إم الفحم، أم أنه سيُستساغ فقط لدى جمهور حيفا؟

حنا شماس منعش، موجع، مضحك، مثير للتفكير. من يبحث عن إضحاك سهل، سطحي، تنكيتي، عليه البحث عن عرض آخر. أنا سأضحك وسأُصْدَم ثانية مع شماس، أنّى سنحت لي الفرصة.

Déjà vu والدولتشي فيتا

كنت أحضر فيلم La Dolce Vita للإيطالي فيديريكو فِلّيني حين فجأة لمعت برأسي تلك الـ Déjà vu- وهو الشعور الأكيد بأن أمرا ما حدث من قبل أو تمت رؤيته تماما كما يحدث أو تتم رؤيته الآن- فتمهّلت قليلا لأستوعب ما الذي يحصل، عند آخر هذا النّهار.

سليم البيك

لا يربط بين أي مشهد في الفيلم وأي مشهد آخر أي رابط منطقي، بل ربما لا يربط أي مشهد بنفسه أي رابط منطقي.

حسنا، أحب هذا الغموض والضياع العبثي في السينما والتشكيل وأحيانا في الأدب، لكن ليس في السياسة.

لا شكّ أن سياسيي رام الله مبدعون ولكن في مجالهم، أي في السياسة، وواضح أنهم اختاروا تيّار العبثية Absurdism ليطرطشوا بإبداعاتهم علينا، رغم أنهم لا يفتؤون يردّدون أن سياستهم واقعية. ورغم أن الفرق بين العبثية والواقعية تماما كالفرق بين رئيسهم وتشافيز أو مارادونا.

على كل حال صار الذي صار وذكّرني الفيلم، آسفاً، بسلطة رام الله.

("كنتُ "بلعتُ" هذا الربط بين الفيلم والسلطة لو أن أحد أبطال "جمهورية رام الله" كان "سكسيّا" كبطل أفلام فِلّيني والفيلم المذكور تحديدا، مارتشيللو ماسترورياني، ولكن حتى هذه "مش ظابطة مع ربّهم". يبدو أن للربط والـ Déjà vu هذه محفّزات أخرى.)

أوقفت الفيلم وصفنت قليلا، محاولا تذكّر متى وأين مررتُ بهذه المشاهد من قبل، أعرف جيدا أنني أشاهد الفيلم للمرة الأولى، ينتابني شعور قوي أنني شاهدته منذ زمن، بل وشاهدته وخبرت ما فيه مرارا، وأنه حقا مألوف جدا لدي، لكني استبعدت الربط الفوري بين ماسترورياني وبين أحد عابثي رام الله.

ثمّ لم أستغرق وقتا ولم أبذل جهدا لأربط ذهنيا بين الفيلم العبثي (كتيّار في السينما) وبين السلطة العبثية (كتيّار في السياسة).

كنتُ "بلعتُ" هذا الربط بين الفيلم والسلطة لو أن أحد أبطال "جمهورية رام الله" كان "سكسيّا" كبطل أفلام فِلّيني

كما في الفيلم حيث لا شيءِ خصّه بأي شيءِ آخر ولا حتى خصّه بنفسه، فالسلطة "الفِلّينية" لا لشيءِ عندها خص بأي شيءِ آخر: حق عودة، أرض ٤٨، غزة، أسرى، مستوطنات، جدار، حواجز... وأمور كثيرة يبدو أن السلطة لم تهتدِ بعد لربط منطقي بينها كلها وبين بعضها، أو حتى بين أي منها وبين ذاتها، عدا عن أنها غسلت يديها من أهم قضيتين، وهما حق عودة اللاجئين إلى قراهم ومدنهم في الجليل والمثلث والنقب، والتمسك بفلسطينية هذه المناطق، المحتلة عام ٤٨.

أرى أن الفن بكل أجناسه، لا يجب أن يوضع تحت مساءِلة الفهم من عدمه، لأن القطعة الفنية (سينما، أدب، تشكيل..) لا بد لها من مواقع غامضة فيها تضمن صون وتجدّد جمالياتها، كما أنها تتغذى من ذاتية الفنان. لكن الأمر غير ذلك في السياسة، حتى وإن تجاوزنا حالة الإبداع والخلق الدائمة (واااو)، وكذلك الذاتية المفرطة (يعئ)، عند سياسيي رام الله.

الاستنتاج الوحيد الذي توصّلت إليه يكمن في أن الإبداع عند هؤلاءِ السياسيين يفوق قدرة الشعب، وأنا من بينهم، على الفهم. ربما هم مبدعون لأني أساسا لا أفهم عليهم، ربما هنالك حقا تيّار العبثية في السياسة وهذا ضرب من الفن والإبداع، وأنا وهذا الشعب المشحّر لا نملك ما يكفي لا من الذائقة الفنية ولا من الثقافة ولا الرفاهية لاستيعابه، ولا نحن نحب الحياة بما يكفي لذلك. أليسوا هم يحبون الحياة، الرقص والغناءِ والموسيقى والمقاومة السلمية (يااي)؟ أليست تلك هي الحياة الحلوة؟ أليس هذا هو اسم الفيلم: La Dolce Vita؟

غسان كنفاني
بلا اسم كأننا بلا رواية

لرواية غســان كنفانــي " عائد الى حيفا" طعــم أخر عندما تولد بعد مئانيــة وثلاثون عاما على رحيله. في ظل إزدحام الكلام عن اللجوء وأمثانه على الانســان وحملة الموضة الســائدة ضد التوطــين وهواجس الهوية. لتبدو ذاك التلازم بين خــط "دوف" الذي كان أسمه خلدون عندما تــرك طفلا في مهده أثر حرب عــام ١٩٤٨ .وخط اللاجئ " عرب" الذي صــار أسمه "أيفان". لما عاد ســعيد بطل الرواية مع زوجته صفية كي يتفقد بيته في حيفا، ليبدأ حوار مع ابنه خلدون عندهــا اكتشــف أنه أصبح مجندا في جيش الدفاع الاســرائيلي. عن معنــى الوطن والهوية وأن الانســان في نهاية الامر قضية. وهو الســؤال ذاته الذي حضر في أخر نسخة من كلفة اللجوء مع صديقي " أيفان" وبينهما وقائع جديدة وتحولات وأمكنة وأزمنة مختلفة ولكل أســبابه المتعددة.

مروان عبد العال

مثــل تلك المــرارة المجبولــة بالخيبــة، أنتظر المفاجــأة ذاتهــا، التــي كتبها غســان كنفاني في روايتــه عائد الى حيفا، عندمــا أدرك أن الطفل الذي بقي منسيا في البيت عند وقوع النكبة كان أسمه خلدون وصار " دوف". وأن الشخص الذي انتظرته في الفندق، بدل اســمه بمعرفته وليس بارادته كما قــال، وهو غير "دوف" الذي أعطوه اســمه مرغما يــوم كان صغيــرا وترعرع في كنف عائلة يهودية وصار جنديا في جيش الدفاع الاسرائيلي، كما تقول رواية عائد الى حيفا.

"أي خلدون يا صفية؟ أي خلدون؟ أي لحم ودم تتحدثين عنهما؟ وأنــت تقولين أنه خيار عادل! لقد علموه عشرين سنه كيف يكون. يوماً يوماً، ساعة ساعة، مع الأكل والشــرب والفــراش.. ثم تقولين: خيار عادل! إن خلــدون، أو دوف، أو الشيطان إن شئت، لا يعرفنــا! أتريديــن رأيي؟ لنخرج من هنا ولنعــد إلــى الماضي. انتهى الأمر. سرقوه".

سـرقوه.... هكذا قالها سـعيد بحسـرة فـي عائــد الى حيفــا.... لكن مفاجأتــي أن أيفــان المنتظر هذا، هو ليس ذاك المعروف بالرهيب، وليس شابا المانيا، كما اعتقدت، أنه صديق من المخيم أسـمه "عرب"، كنــا زملاءِ في الزقــاق والمدرســة اطفال زمن اخترعناهــا فــي حدود الــرواق السـري، عندما اسـتفقنا من غفلة زمن غليــظ، في حضن مكان أليــف، يتكور كجنين من طيــن، يتحول الى بيت مهمــا يكبر لن يتحول الــى وطن، الخيمهة مهما كبــر عامودها ســتبقى خيمة، ونحــن نفتقد الى موطئ قدم كي نســابق عظمة الاحــلام. يومها كان شاباً وأختفى في مواسم الهجرة الى المانيا. في رأسي حضر ذات المشهد في رواية غسان.

"تعال يا دوف، يوجد ضيوف يرغبون برؤيتك".

وانفتح الباب بشــيءٍ من البطءِ، ولأول وهلة لم يصدق، فقد كان الضــوءِ عند الباب باهتاً، ولكن الرجل الطويل القامة خطا إلى الأمام. كان يلبس بزة عسكرية، ويحمل قبعته بيده.

وقفز سـعيد واقفاً كأن تياراً كهربائياً قذفه عن المقعــد، ونظر نحو ميريام وهــو يقول بصوت متوتر:

ـ "هذه هى المفاجأة؟ أهــذه هى المفاجأة التى أردت منا انتظارها؟".

نظــرت بوجه عــرب أو أيفان، مــدركاً انك لن تستطيع أن تكون بطلاً أو اسما ما لم تعيد قراءِة نفســك ولو خــارج الروايــة حتى تخلقهــا وتحيا وتحلم. ومرغما تفتح نافذة الاسئلة من السطر الاول الــى لغز الاســم الجديد، كيــف ؟ ولماذا؟ تستهجن وتهيج وتبرر.

في الحارة الساحلية، آخر بيت على حافة الشارع، حيــث تفصــل عيــادة الانــروا بينه وبيــن رمل الشاطئ، والطفل يجفل من اقتحام الريح وطعمه المالــح، وان كان يســامراجفانه، يداعــب خياله في هسهســة ليلية يعزفها فوق وســادته كي يغط في نــوم يضبط علــى منبه يقــرع مع آذان الفجر، والبحر يرمي امواجه، مطمئنا وديعا تحت أبط الدنيا.

"عــرب" الولــد الأســمر، بعينيــن تكتحل بالســواد، وبشعره الفحمي الداكــن، يســوح بخصلــة تتدلــى على يميــن الوجه. تصــدح قهقاته الساخرة، فتخترق جدار المدرسة، يفيض بالنــكات والقصص والنوادر والأغاني.

كرســي القــش الصغيــر، شــاهد صامت على ضجيج الازقة المعتمة، وفــي الزاويــة الرماديــة الحــادة التي احتجزت نصف الــزاروب كي تصير ملحمــة، تقبــع على طــرف باب ســوق الخضــار، يســتخدم الســكين الصغيــرة فــي تشــقيف اللحم فوق طاولة خشبية، ويدندن كي يؤنس وحدتــه راقصــا، وينتظــر حضــور المصغــي النجيــب، كي يــروي على مســامعه نزوات المراهقة الشــقية والشــيقة أيضا، ومغامرات ممتعة في ســيرة أول الحب، متباهيا بأن خط شاربيه بدأ بالظهور، معلنا موســمه الشــبابي، هناك مــرآة بحجم الكــف معلقة علــى زاوية الحائــط. يرمقها رافعا غرته للاعلى كلما كانت في مرمى النظر، ويلقى بانفاســه على جمال نســائي معلق امام ناظريه، علــى جدار يحتفــل بميلانه، وبصــور مقصوصة مــن مجلات الفن، وبشــغف للتصويــر والتمثيل والغناءِ..

فاسمك الوحيد يدلني عليك، واسم عن اسم بفرق أيضا. كي تعود أنت الى نفسك تعود حيفا فيك فنعود اليها وتعود إلينا

تربى هنا تحت الزينكو في زواريب المخيم، ولم تربه مريام ولا أيفرت، ولكنه أنتهى الى دوف!

"أنــا لم اعــرف ان ميريام وايفرات ليســا والدى إلا قبــل ثلاث أو أربع ســنوات. منذ صغرى وأنا يهــودى. اذهــب إلى الكنيــس والى المدرســة اليهودية وآكل الكوشير وأدرس العبرية. وحين قــالا لى ـ بعــد ذلك ـ أن والــدى الأصليين هما عربيــان، لم يتغير أى شــيءِ. لا، لــم يتغير. ذلك شــيءِ مؤكد.. إن الإنســان هو فــى نهاية الأمر كائــن أمرأة ، فتكتفي بالوقــوف خارجا وتتناول البضاعة من الشباك.

عــزف وخبيــط منظم تتنــاوب في الحانه ســن قضية".

أنت لســت أيفان القديم ولا الجديد، أنت عرب الحقيقــي الذي تغير في كل مــرة فكيف يكون خــارج اســمه؟ يعني ماذا نســميه؟ اســمه أيضا قضية.... هو صراع على الأسم كما المعنى.

يوم كان يســاعد والده في الدكان، لم يجرؤ ان يبالــغ بمزيد من صور الاغراءِ، حتى لا تكشــحها ســكين الوالد الوقور، يدمن الحركة في مسرح ســردابي يســمى الملحمــة، لا يــكاد ان يتســع لشخصين، اضيق من سرير نوم مزدوج، يستطيع الزبون ان ينحشــر معه في مســاحة ضيقة وان السـكاكين وتبديلهـا بطريقــة تقنية فــي تنعيم عالسـكين أو فرم القطعة رأس عصفور حسب رغبة الشــاري، ويردد مع الكاسـيت الذي يدور في مسجلة صغيرة أغنية "زاي الهوى يا حبيبي..." مع المطرب عبد الحليم حافظ قبل أن يرمي ما بين يديه على كف الميزان.

طقوس يمارســها "عرب" في ايام الضجر. يخرج من عباءِة الملل نحو البلاطة الخارجية للملحمة. ذكرني كيف كان يردد مع فيروز أغنية:" صرلي شي مية سنه مشلوح بهالدكان عافتني الحيطان". ولأن قضية الاسم المســتعار بقيت تحتل عقلي... أتمتم أغنية "أساميناا... شو تعبو أهالينا".

"وســأل نفســه فجأة: ما هــو الوطن؟ وابتســم بمرارة، وأســقط نفسه، كما يســقط الشيءِ فى مقعده، وكانت صفية تنظر إليه قلقة، وتفتح فى وجهه عينين متســائلتين، وعندها فقط خطر له أن يشاركها فى الأمر، فسألها:

ـ "ما هو الوطن؟"

وارتــدت إلى الوراءِ مندهشــة وهى تنظر إليه كمن لا يصدق ما ســمع، ثم ســألته برقة يكتنفها الشك:

ـ "ماذا قلت؟".

ـ " سألت: ما هو الوطن؟ وكنت أسأل نفسى ذلك السؤال قبل لحظة. أجل ما هو الوطن؟ أهــو هذان المقعدان اللذان ظــلا فى هــذه الغرفة عشرين ســنة؟ الطاولة؟ ريش الطاووس؟ صورة القدس على الجــدار؟ المزلاج النحاســي؟ شــجرة البلوط؟ الشــرفة؟ ما هو الوطــن؟ خلدون؟ أوهامنا عنه؟ الأبــوة؟ البنــوة؟ ما هو الوطن؟ بالنســبة لبدر اللبدة، ما هو الوطن؟ أهو صورة آية معلقة على الجدار؟ إننى أسأل فقط".

"دياســبورا" ليســت الوطن ولا حتى الخيمه التــي نلتحفها من الســلك الى الســلك، الوطن لا يحده الاســلاك، يضيق السرير اكثــر كلمــا كبرنــا، فيكتــب ســيناريو جديــد لغربة أشــد مضاضة. كان الهوس بالصورة الى درجة الدخول في الصورة. وحينما تتلــون الصورة وينظر "عــرب" فــي نفســه، ليشــاهد صــورة "عربسـيك"، يظنهــا نفســه، ترف جفنيه كي تصحو ثانية في بيت قديم، وترتعش الرجولة فيستعيد داخلي، ذاك الشريك الذي وصل الى مرتبة أعــز الاصدقــاءِ، مراهقا يتأتئ في مرآة نفســه. وكي يطيب لنا أن نلتقي في الزاوية الحادة وباسم جديد في ساحة مدينة غريبــة فــي غربة يصــر على أنها قســرية. في الاسم غربة جديدة.

(أما بالنســبة لــي فأنا هنا بعد انهيار جدار الشــرق لندخل فــي جدران الغرب، تغيــر الكثير من تفاصيــل حياتنا، فــلا الرفيق ولا الصديق ولا من يريد تغيير العالم أصبح موجوداً، والجميع تحول الى ماكينات تعمل ٨ ساعات في اليوم، وربما لهذا الســبب أشــعلت تلك الصورة في داخلــي بركاناً خامداً ظننــت أنه خرج من الخدمة.

بعد تنقلي في محطــات التلفزة الألمانية حطت بي الرحال في القســم العربي لمحطة" دويتشــه فيلله")

خاطبته قائلا: إســمنا ليس صــورة وليس مرآه نكسرها إن لم تعجبنا الصورة، إنها هويتنا وأنت "عرب" لست "إيفان" البتة...."

وعاد فنظر إلى (دوف) وبدا له مســتحيلا تماما أن يكون هذا الشاب من صلب تلك المرأة"

وانــا أقول: أنت مــن صلــب ذاك الوالد الذي إعتمر العقال وعبس في وجهك كي تكون رجلاً، وحدثك عن الجليل وأيام الحصاد والبيادر، بأي حــق تلغي أســمه بجرة قلم، مــن أجبرك؟ رد فورا:" نعــم أجبرت. ثم صمت، وأكمل: الســبب نظــرة الريبه والاتهام والشــك. كلمــا تصادفت بواحــد هنا وقلت اســمي عرب ينــزع يده من يدي وخاصة بعد حادثة ١١ سبتمبر. صار العربي

أعرف بأنك ربما تستطيع أن تزور فلسطين باسمك الجديد" أيفان الالماني"، لكنك لن تستطع العودة اليها الا بأسمك الاصيل" عرب" الفلسطيني

متهمـا. كل العـرب. فكيف بعرب فلسـطيني مثلي. حتـى المطـارات العربيه. نعـم العربيه يـا صديقي في تونس مثـلا، زرتها موفدا من الاذاعـة الالمانية وانا احمل الجنسـية الالمانية. ولكن عندما قرأ الامن أسمي قلت عن حقيقة هويتي بصراحـة. فكان التعاطـي مختلف عن الذيـن يحملون أسـماءٍ أجنبية. الان وباسـم أيفان نلت أحتراما أكثر."

مثـل كل اترابك في القريـب الذي هو بعيد والبعيد الذي هو أبعد أن تكون بغير أسـمك كأنك بلا رواية، معزولا في دهليز "الدياسبورا" تنتفى الذات، لا تكلف نفسك عناءِ الاختباءِ وراءِ الأسم، لذنب الغياب وربما تصير انت الممنوع وحين لا تقوى على ان تشهر الاقامة، انك خلف الوقـت تبحث في السـاعة عـن عقاربها، كي تمنحك اجـازة مرور. الزمـن يتحكم بجرعة الشـوق في رئتيك. المكان يحلق بعيداً وشبح الحكاية يحـوم فيه، كأنك تفرط بالغضب وبما تبقى من الفرح. تدخن بشـراهة وتعطي نكهة الايام الخوالي كأسا آخراً من الحب القرمزي المشتعل من قلب واحد.

"هذا هو الوطن"، قالها لنفسـه وهو يبتسم، ثم التفت نحو زوجته:

ـ "أتعرفيـن ما هو الوطن يا صفية؟ الوطن هو ألا يحدث ذلك كله".

هل عرفت ما هو الوطن يا صديقي؟ خذ وقتك كافيا للأجابة وسترددد مع العائد الى حيفا ذات الجواب، نعـم "الا يحدث ذلك كلـه" من حياة مليئـة بالمعنى، يوم تترك لي ابتسـامه خاصة في مواجهـة دمعة مواربـة، مازالت تتلكأ في العين ولم تسقط بعد ، يوم وجدت نفسك في حالة جدار... قصـة مزمنة من قيد الجدارات، كي تنشطر هائما بين جدارين، تحمل حقيبتك، تلملم داخلها كل الاراجيح الطفوليه، سـتصدق نبـوءة غسـان وكأنك تهتف لي بلسـان بطل عائد الى حيفا عندما " قال سعيد:

ـ "ليـس ثمة ما يقال. بالنسـبة لـك ربما كان الأمـر كله حدثا سـيئ الحـظ، ولكـن التاريخ ليس كذلك، ونحن حين جئنا هنا كنا نعاكسـه، وكذلـك، أعتـرف لك، حيـن تركنـا حيفا، إلا أن ذلك كله شـيءٍ مؤقت. أتعرفين شـيئا يا سـيدتي؟ يبدو لى أن كل فلسـطينى سيدفع ثمنا، أعـرف الكثيرين دفعوا أبناءِهم، وأعرف الآن أننى أنا الآخـر دفعت ابناً بصورة غريبة، ولكننـى دفعته ثمنا.. ذلـك كان حصتى الأولى، وهذا شيءٍ سيصعب شرحه".

لأن كل فلسطيني سـيدفع ثمن الشتات وانت دفعت الثمن بأن انتحلت اسـما غير اسـمك، شطبته بجرة قلم، ولأي سبب؟ حتى يحترمك الاخـر... وهل احترمك أكثـر؟ هي أخر حصة مـن طعم اللجوءِ التي تلوكها غربتك. نضرس مـن حصرم لـم نأكلـه، أعـرف بأنـك ربما تسـتطيع أن تزور فلسـطين باسمك الجديد" أيفان الالماني"، لكنك لن تستطع العودة اليها الا بأسمك الاصيل" عرب" الفلسطيني.

في لحظة عشق تستنفر كل الاساطير المختبأة فـي كيانك، سـتقاتل لاسـتعادة اسـمك أيضا وتفتـح صفحـات من تاريـخ الضياع، أسـماءِ نحملها ونحميها من خناجـر الغير ومن طعنة الذات لذاتها، قهرا او قسرا. فأسماؤنا هي بذور أحلامنـا وقد تنبت في موسـم واحد وتخرج دفعـة واحدة عن بكرة ابيهـا. لتعلن للتو، بأننا علـى وعد "العائد الى حيفا" أن الظلم هو ألاب الشـرعي لدوف وأيفان وغيرهم، وأن" دوف" يعلن هزيمته، لحظة التوقف عن التناسـل فينا او حتـى للولادة من جديـد داخلنا، مدركا أن الانتصـار على الظلم هي فرصته كي يسـتعيد خلـدون مرغمـا من وصيـة غسـان كنفاني عندمـا طلب العائد سـعيد من ابنه خالد أن يبقى يحمل سـؤال الذكرى ومقاوما من أجل المستقبل.

"دوف" لـم يتماهَ من جديد في شـكل "ايفان"، ينزع اسـمه القناع عندمـا تحترمه المطارات العربيـة، وربما تلغى حدود الأسـم بين عرب وعرب. وتبقى أنت "عرب" الغير قابل للصرف، أو إحالة الاسـم للتقاعد أو حتى اخراج الهوية مـن الخدمة العربية، فاسـمك الوحيد يدلني عليك، واسـم عن اسـم بفرق أيضا. كي تعود أنـت الى نفسـك تعود حيفا فيـك فنعود اليها وتعود إلينا، وحتى لا ندعهم يسرقون أسماءِنا، ستبقى "عربَ" حتى آخر رمق وان طال دهليز السفر.

العنصرية الميسّرة لغير الناطقين بها

١ – أغنيـة راب: المعلمة العصريـة أرادت أن تعلم الأطفال هذا الفـن "الجديد". يلا يا حلوين. توزعوا مجموعات وكل مجموعة تؤلف أغنية راب.
مجموعـة مـن الأولاد ذهبـت إلى البيـت وعـادت بالآتي: «نحن المسـلمين/ دومـاً متحديـن/ لا نـأكل الخنازير/ ولا الصراصـير... Yo Yo Yo Yo Yo».

سامر أبو هواش

إنهم في التاسعة من عمرهم! لم يرَ أحد منهم خنزيراً، وأشـك في أنهم رأوا حتى صرصاراً! لكنهم اليوم تعرفوا الى فكرة جديدة ومثيرة: مـن يـأكل لحـم الخنزير هـو كمـن يأكل الصراصيـر. ليـس ضروريـاً أن يعرفـوا الآن بالضبـط من الذي يأكل لحـم الخنزير. لكنهم بـدأوا الآن يعرفون أنهم هـم لا يأكلون لحم الخنزيـر، وأن الذين يفعلون ذلك، وإن كانوا الأولاد اللطفاءِ على المقعد المجاور، هم شيءٍ آخر... في الحدّ الأدنى هم ليسوا نحن. خنازير صراصير... صراصير خنازير... سوف تبقى هذه طويلاً طويلاً في الأذهان.

منـح الفلسـطيني حقوقه المدنيـة، فهل هذا يدخل في بـاب العنصرية؟ يعني، لنفترض أن الفلسـطيني هو الدجاج، ونحـن جميعاً نأكل الدجـاج، ومثل النباتيين نعاملـه معاملة طيبة قبل أن نأكله، فهل هذا يجعل منا عنصريين؟ صعبة هذه.

في حقيقة الأمر، من الناحية التطورية لا. نأكل الدجـاج، أقصد الفلسـطينيين، منذ عشـرات السنين. إنما من الناحية الأخلاقية، فمن الجائز أن نوصف هكذا، ربما لا يكون موقفنا سـليماً تماماً. لكن من يبالي.

أجل، العنصريـة هي ابنة اللامبالاة. ولا سـيما لامبالاة الدجاج.

الطريـف أيضاً، بل الفاجع، أن العنصرية يمكن

أجـل، العنصريـة مسـألة لغويـة. ضمير رفع منفصل. منفصل حتماً.

وأجل، إنها لا تسقط هكذا من السماءِ. إنها تبدأ في لحظة ما. غالباً مع اكتمال نمو الأسنان.

٢- أبـي، إذا كنـا نـأكل الدجـاج، فهل نحن عنصريون؟

إممممـم. سـؤال وجيه، دعني أر (غوغل، ياهو، ويكيبيديـا، بريتانيـكا...) لا، لا. الحمد لله، الجميع يأكلـون الدجاج. إممم لحظة. هناك النباتيون. لا، الحمـد لله، كثيرون منهم يأكلـون الدجاج، لكنهم يعاملونه معاملة حسـنة قبل أن يأكلوه. إلاّ أنهم يذكرون شـيئاً هنـا عن الذيـن يأكلون الـكلاب، وعن الذين يرفضون أكل الأبقار. أف، دعنا من ذلك. اللعنة على الدجاج. لأنه إذا كنا جميعاً متفقين مثلاً، وأقول مثـلا لا أكثر، على أنه يجب عدم أن تكون ابنة المبالاة بالذات. طار الحمام غطّ الحمام. كيف يختلف إنسان "يدافع" اليوم عن الفلسـطينيين وحقوقهم، لينسـاهم غداً مثلما نسـيهم في الأمس. أبـواق المونديال – تلك الأبواق الشهيرة المزعجة – ثمة الكثير مثلها في ما يتعلـق بالقضية الفلسطينية.

وهـل يمكننـي أن أنسـى "المثقـف اليسـاري" الـذي بلغـت درجـة تعاطفـه معـي أنـه تنبـأ لـي: "سـتبقى لاجئـاً إلـى الأبـد".

٣- العنصرية شكل من أشكال المحبة أيضـاً. لمـاذا فـي رأيك أنا أضربك؟ لأنـي أحبـك. لأني أريـد مصلحتـك. ليـس لأني مريض نفسياً، ولا لأني في حقيقة الأمر أنفّس عـن أشـياءٍ فـي داخلـي كلما ضربتك. حتى الندم الذي ينشـأ بعد ضربي لك، أسـتمتع به. هل ترى كم أني مريض. لكني أحبك. من قلبي.

إذا كنت تحبّ السـود حقاً في أميركا ما قبل السـتينات، فعليـك أن تمنعهـم مـن دخول مدارس البيض وجامعـات البيض ومدارس البيض وحافلات البيض، بالضبط لأنك تحبهم. لا تريدهـم أن يتعرضوا للأذيـة من أولئك البيـض الزعران الذين يخرجون ليلاً مقنّعين بالشراشـف البيض، أو حتى أن يسمعوا منهم كلمـة مهينة. لمـاذا يصعـب فهـم التدابير الحكيمـة إلى هذه الدرجة؟ وما هذه الكلمة الغريبـة التـي يكررونهـا كثيراً هـذه الأيام: غيتو؟ من اخترعها؟

عودة إلى اللغة: لماذا يا ترى نسمّي الحارات التـي (كان) يعيـش فيهـا اليهود فـي بعض العواصم العربية: حارة اليهود؟

هـذا حرفياً تعريـف الغيتو. إنها الحـارة التي نقـرّر أننا نحـب مجموعة ما إلـى درجة أن نسجنها فيها. إلى الأبد.

أفضـل مرادف عصـري لكلمة غيتـو: مخيم. على الأقل عدد الأحرف هو نفسه.

٤- والآن، كيـف يمكنـك أن تتهـم بالعنصرية إنسـاناً لا يريد منـك إلا أن تخرج من الغيتو وتعود من حيـث أتيت (مهما طال الانتظار)؟! ولكن مهلاً، أين سـمعنا قبلاً مثـل هذا الكلام؟ أجـل، بريطانيـا، الدانمارك، ألمانيـا، هولندا، فرنسـا. فـي كل بلـد يضـمّ مهاجريـن غير شـرعيين (هذا تعبير مختلف عـن لاجئين. لا قاموس أممياً في هـذه الحالة). أجل، وحين نسـمعهم يقولون مثل هـذا الـكلام علـى التلفزيـون نستشـيط غضبـاً ونصـرخ: عنصريـون! كلاب! وكـم نغضـب حيـن نعلـم أنهـم يمنعون سـيدة من ارتداءِ – ليس الحجاب فحسب – إنما التشادور. هذا لأننـا نتمتـع بالحـس السـليم. علـى أبواب القـرن... وكيـف يتشـدقون بحقـوق الإنسـان. نحن الذين يحق لنا التشدق بهذه الحقـوق. نحـن ربّ حقوق الإنسان. وسوف نبرهن عن ذلك حين يقرر الفرنسيون مثلاً منع العرب في فرنسا مـن العمـل والعلـم والطبابـة، وحيـن يبدأون بحبسـهم في غيتوات متفرقة مقفلة بالحواجز العسـكرية، وحين يمنعونهم حتى مـن الحصـول على مسـمار أو بحصـة. لكن لا، هذا جنـون، من يمكـن أن يفعل ذلك في القرن...

٥- أخيـراً، العنصرية رحلة مجانيـة. إذا كان الجميـع يأكلـون الدجـاج، فالجميـع يمكنهم الصعـود إلى الحافلة. لا يهمّ إن كنت يسـارياً أم يمينياً، معتدلاً أم متطرفاً، قومياً أم وطنياً، مثقفـاً أم أميـاً، فأنت مرحَّب بـك في هذه الرحلـة المجانيـة. من الغريب حقـاً أن أكثر من ينتشون، مثلاً، بكلمة "لاجئ" هم اليساريون الرائعـون. أجل، إنهم يحبّـون الكلمة، يثملون عليها. وهل يمكنني أن أنسى "المثقف اليساري" الذي بلغـت درجة تعاطفه معـي أنه تنبأ لي: "ستبقى لاجئاً إلى الأبد". كادت دموعي تنهمر من شـدة الحب. بالطبـع سـأبقى لاجئاً إلى الأبـد، لأنه في اللحظة التي لا أعود فيها لاجئاً، فسـيحدث كسـاد هائل في سـوق المثقفين العرب، ولا سـيما اليسـاريون منهـم. هذا إذا عاد للكلمة – أعني المثقفين واليساريين على السواءِ- أيّ معنى ×

أمجد غنام - خاص رمّان